وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بغرداية

معهد العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

البحرية الفينيقية ودورها في ربط الصلات الحضارية بين شرق المتوسط وغربه

مذكرة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ القديم

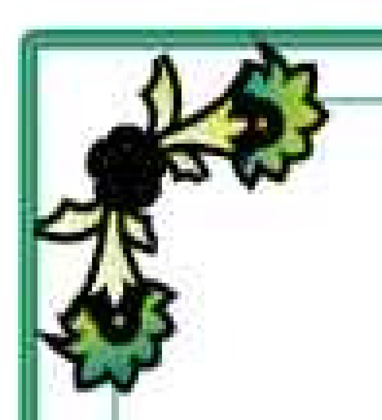
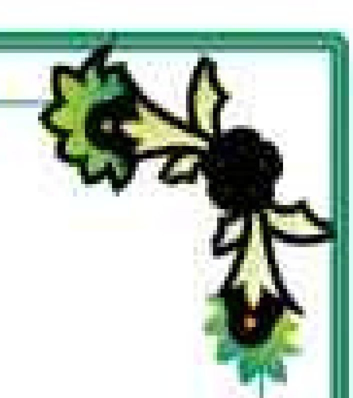
إعداد الطالب :

صلاح الدين مايدي

إشراف الأستاذ:

أحمد ثليجي

السنة الجامعية : 2011/ 2012م

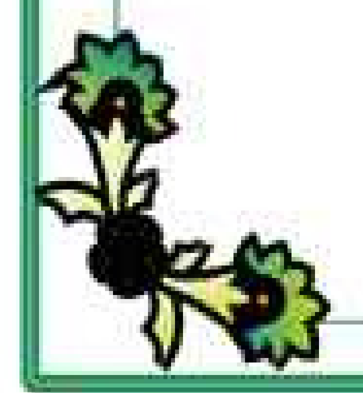
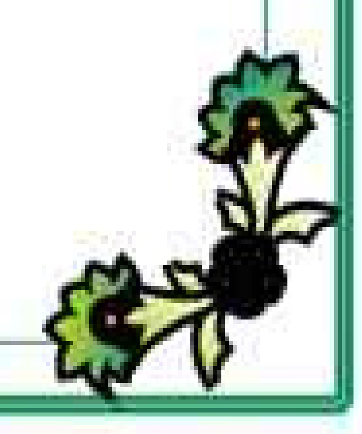
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل إنّ صلاتي ونُسُكي ومَحياي

ومماتي لله رب العالمين لاشريك له

وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين﴾

صدق الله العظيم



بعد شكر المولى عز وجل على فضله ومنّه ، لا يسعنا

إلا أن نجزل صادقين عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ

المشرف **أحمد ثليجي** الذي رعى هذا البحث وأشرف على

مراحل إنجازه توجيها وتقويما وتشجيعا .

فإليه أتوجه بخالص الشكر والعرفان ....

والله نسأل أن ينفعنا بهذا العمل المتواضع وأن يجعله خالصا

لوجهه الكريم .

إهداء



بلسان قائل ، وقلم سائل وقلب صادق

أنحني إلى من أكرمني بنعمة العقل

ووهبني طريق الهداية وأفاض عليَّ

سبل الخير والرحمة " **الله جل وعلا** " .

إلى أغلى الناس في الوجود والديَّ الكريمين .

إلى إخوتي وأخواتي .

إلى جميع الأصدقاء الذين احتواهم القلب ولم تحتويهم هذه الورقة .

إلى جميع الأساتذة من الابتدائية إلى الجامعة .

إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد .

إليهم جميعا أهدي هذا العمل ....

مقدمة

البحر المتوسط ، بحر يملك الكثير من المعاني التاريخية ، إذ شهد قديما تحركات أدت إلى تغيير معالم التاريخ بربط الشرق بالغرب حضاريا في جميع مناحي الحياة ، فلا يخفى على متأمل ودارس للتاريخ أن الفترة التاريخية بدأت بوصول الفينيقيين إلى سواحله وما واكبه من تغيير جذري في المناطق الغربية ، لذا فقد جذب هذا النوع من الدراسات المهمة اهتمام المؤرخين .

لقد أدى موقع فينيقيا على شواطئ البحر المتوسط وما امتلكه من ثروات طبيعية إلى تحول المنطقة لمركز حساس في التاريخ القديم ، إذ جذب هذا الموقع الاستراتيجي الذي احتله الساحل الفينيقي على البحر الأبيض المتوسط الواقع كجسر بين القارات الثلاث إفريقيا وآسيا وأوربا ، أطماع دول الجوار للسيطرة عليه كالإمبراطورية المصرية وبلاد الرافدين وشمالا الدولة الحيثية، لذا كانت منطقة مد وجزر وصراع دائم، بالإضافة إلى العوامل الطبيعية من حواجز جبلية جعلت المدن الفينيقية متفرقة، وهو ما أثر على ذهنية المجتمع الفينيقي وجعلته يكون نفسه بنفسه ، ولعل أبجدية رأس شمرا والفن الفينيقي قد كشفا عمق الحضارة الإنسانية بكل مجالات إبداعها وتألقها وعلاقتها الدولية والإقليمية آنذاك وديانتها وآلهتها وصولا إلى نشاطها البحري وطرق ملاحتها وتجارتها والتي كانت السبب الرئيسي في المد الفينيقي الذي انتقل إلى الغرب بفضل البحرية التي ساعدت الفينيقيين للتوسع وتحقيق مكاسب ضخمة ، ولم يكونوا ليقدروا على تحقيقها لولا هذا الأسطول خاصة إذا عرفنا ما كان عليه طموح الفينيقيين في التوسع نظرا للقوة الاقتصادية التي كانت تتوفر لديها ووجوب تعريفها وذلك للبحث عن أسواق خارجية في الشعوب المعاصرة لها ، ولم تستطع أي إمبراطورية أن تحقق ذلك ، مما سمح للفينيقيين بتكوين حضارة راقية في

الغرب ، ونحاول إدراك ذلك من خلال ما أقدم عليه الفينيقيون من ربط للعلاقات الشرقية بالغربية ، فيعتبر هذا من منظور تاريخي أكبر إنجاز حققته الحضارة الفينيقية ، والواقع أنه إلى جانب ربط الشرق بالغرب حضاريا ، تم تأسيس مدن جديدة تابعة لها والتي أصبحت فيما بعد من القوى المؤثرة في حوض البحر الأبيض المتوسط والمهيمنة عليه عسكريا واقتصاديا وحتى فكريا .

وفي هذه الدراسة نحاول تناول جوانب على قدر كبير من الأهمية تتعلق بالبحرية وأثرها في تاريخ الحضارة الفينيقية سواء في فينيقيا أو في المناطق التابعة لها خاصة في المناطق الغربية،لذلك تبلورت في أذهاننا الإشكالية التالية : لماذا اتجه المد الفينيقي نحو الغرب ولم يتجه نحو الشرق ؟ وما هي المؤثرات الحضارية المتبادلة بين الضفتين ؟ والى أي مدى استطاع شرق المتوسط أن يؤثر حضاريا في غربه ؟

ويمكننا أن نصوغ في هذا السياق جملة من الأسئلة يمكننا إيجازها في النقاط التالية :

1. أيكون للموقع القريب من قوى الجوار (والتي استسهلت إخضاعها) دور ؟ أم أن الأمر يعود إلى أسباب اقتصادية وعسكرية ؟
2. ما هي عوامل التوسع الفينيقي نحو الغرب ؟ وفيما تمثل دور البحرية الفينيقية التي تعتبر أداة وصل ؟ و ما هي مقوماتها وكيف كان تأثيرها على التجارة الخارجية ؟ وكيف تم تنظيمها وتطويرها ؟
3. ما هو الدور الذي لعبه الفينيقيون في الغرب ؟

وكثيرا ما نجد الدراسات التاريخية القديمة تتناول موضوع الفينيقيين في الغرب ونادرا ما نجد الحديث عن الأسطول البحري الذي ساهم في دعم ركائز الحضارة غربا ، وهذا واحد من دواعي اختياري

للموضوع حيث نريد تسليط الضوء على دور البحرية ، وذلك بدراسة الجانب الطبيعي و الاقتصادي للساحل الفينيقي ، وأثره في المد الفينيقي والدور الذي لعبه الفينيقيون في الغرب .

ونظرا لطبيعة الموضوع استعملنا المنهج الوصفي التحليلي ، لأن الكثير من النقاط تتطلب التحليل للوقوف على الأحداث التاريخية ومعطياتها .

و اقتضت منهجية البحث أن نقسم بحثنا إلى أربعة فصول حيث تطرقنا في :

الفصل التمهيدي إلى أصل الفينيقيين وتسميتهم وتاريخهم وكذلك بعض شواهد الحضارة الفينيقية ، كما تطرقنا إلى البنية الطبيعية والجيولوجية وطبيعة المناخ للمنطقة وعن أهم المدن الفينيقية والتي كان لها الأثر البالغ في تاريخ الساحل الفينيقي .

أما في **الفصل الأول** فقد تناولنا فيه الأوضاع العامة للساحل الفينيقي ، بإعطاء لمحة عن الأقوام التي سادت تلك السواحل ، ووضحنا الأوضاع السياسية والعسكرية وكذلك الاقتصادية .

وفي **الفصل الثاني** حاولنا إعطاء نظرة عامة حول البحرية الفينيقية ، من تاريخ نشأتها ومقوماتها وصناعة السفن المشكلة لها وعن الموانئ المنتشرة في سواحل البحر الأبيض المتوسط وصولا إلى عوامل التوسع واكتشاف المناطق الغربية ، ثم أبرزنا تطور الملاحة عند الفينيقيين واهتدائهم بالنجوم ،كما وضحنا مراحل تأسيس المحطات التجارية و الاستقرار في المستوطنات الغربية .

وفي **الفصل الثالث** فقد ركزنا في هذا الفصل حول أهم المستوطنات الغربية الفينيقية كمستوطنة قرطاجة وعلاقتها مع صور وعن الصلات الحضارية بين الحاضرتين التاريخيتين ونفس الشئ بالنسبة للتأثير الفينيقي في شمال غرب البحر الأبيض المتوسط وبالتحديد شبه الجزيرة الأيبيرية .

أما عن **المصادر والمراجع** فقد اعتمدنا في بحثنا على المصادر التي نلتمس فيها وفرة المادة وان كانت هذه تناول هذه المصادر في حد ذاته إشكالية بسبب التوجهات الفكرية والحضارية وحتى الاختلاف في الأزمنة وما وقفنا عليه من تناقضات فحاولنا قدر المستطاع قطع دابر الشك باليقين ، فأهم المصادر التاريخية **العهد القديم** الذي يضم مجموعة من كتب تعرف بالأسفار ،جميعها تسعة وثلاثون سفرا وعدد إصحاحها تسع مئة وتسعة وعشرون ، بدءا بسفر التكوين والخروج واللاويين وأخيرا سفر يوشع وحزاقيل وملاخي ، وهناك مصادر تاريخية أخرى ومن ذلك مؤلف التواريخ **"هيرودوت"** الذي تناولنا فيه ما يخدم أصل الفينيقيين ووصفه للمدن الفينيقية لما زارها في القرن 5 ق.م ، وكذلك كتابات **سترابون** في وصفه لجغرافية المنطقة وان كان هذا المصدر ثانويا بالنسبة للمصادر التي سبقته ،أما عن المراجع والدراسات وإن كانت قليلة و التي تخص الموضوع فقد حاولنا قدر المستطاع تناول ما يسهل استيعابه وتصنيفه مسلطين الضوء على المراجع التي تسلط الضوء على الموضوع ، بحيث لا يمكننا أن نجد مراجع معينة تدرس موضوع البحرية أو الصلات الحضارية بين الشرق والغرب ، فمعظمها تطرق للموضوع عرضا وباختصار فمن أهم المراجع المعتمد عليها : الحضارة الفينيقية لمؤلفه كونتينو.ج والذي تحدث عن العمق الفينيقي ، وكتاب التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط لمؤلفه محمد صغير غانم وقد تناول هذا الكتاب أسباب وعوامل المد الفينيقي وكتاب بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة لمؤلفه أحمد فرجاوي والذي لخص الصلات الحضارية بين شرق المتوسط وغربه .

وفي الختام لا يمكننا أن ندعي أننا ألممنا بجوانب الموضوع لكن حسبنا أننا اجتهدنا قي إبراز دور البحرية الفينيقية في ربط الصلات الحضارية بين الشرق والغرب.... ولله وحده الكمال وعليه المعتمد والاتكال.

الفصل التمهيدي : نظرة عامة على الساحل الفينيقي

أ- تعريف الفينيقيين

1- تسمية الفينيقيين

2- أصل الفينيقيين وتاريخهم

3- بعض شواهد الحضارة الفينيقية (اللغة- الكتابة الأبجدية)

ب- دراسة جغرافية للساحل الفينيقي

1- الموقع والطبيعة الجغرافية

2- المناخ والإمكانيات النباتية للساحل الفينيقي

3- جغرافية المدن الفينيقية

تعريف الفينيقيين :

أ-1) تسمية الفينيقيين :

أجمع المؤرخون على أن الفينيقيين نزحوا من شبه الجزيرة العربية واستقروا في السهول المنخفضة بسواحل بلاد الشام ، سورية ولبنان و فلسطين ،كما أثبتت المصادر التاريخية أن كلمتي كنعان و الكنعانيون كانتا تعنيان قبل كل شيء فينيقية و الفينيقيين , وهو ما يتناقض مع التقسيم العرقي للتوراة إذ نسب التقسيم العرقي تبعا لأبناء نوح ، سام ، حام و يافث وذكر فيها أن الأراميين و الآشوريين و العيلاميين [1] ،ينسبون إلى سام و أن الكنعانيين ينسبون إلى حام .

كما ورد إسم كنعان في نقش لتمثال أدريمي ألالاخ [2] ، في القرن 15 ق.م ، ووردت تسمية مات كينانيم أي أرض كنعان ، أضف إلى ذلك فقد كان الفينيقيون يسمون أنفسهم بالكنعانيين ويدعون بلادهم بأرض كنعان ، إذ ورد في التوراة " **وكانت تخوم الكناعي من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة و حينما تجيء نحو سدوم وعمورة و أدمة و صوبيم إلى لاسع** " [3] .

وأرض كنعان تغني أرض التجار، إذ إحتفظ الفينيقيون بإسمهم الأصلي رغم أن اليونانيين قد أطلق عليهم هذا الإسم قبل الكنعانيين حتى أوائل القرن الثاني قبل الميلاد , فقد حملت عملة النقود ''لأنطونيوس

[1] – **العيلاميون** :نسبة لمملكة عيلام وهم سكان جنوب غرب إيران كانوا على إتصال بالحضارة السومرية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد كما نشطت تجاريا في العهد البابلي القديم

[2] – **ألالاخ** : مملكة ظهرت أهميتها في الألف الثاني ق.م , وكانت خاضعة لمملكة حلب (يمحاض) , محمد حرب فرزات , موجز في تاريخ سورية القديم ,ط5 جامعة دمشق , دمشق 1993 , ص 142 .

[3] – الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، الإصدار الثالث ، ط 1 ، 2005 ، سفر التكوين . ص 20.10 .

الرابع''(176 – 164 ق.م) عبارة ''اللاذقية في كنعان '' و اشتقاقه من''ك.ن.ع'' [1] ، وهي الأرض المنخفضة و الجدير بالذكر أن ''ك.ن.ع'' عرف أيضا كإسم علم في السريانية وأن المصريين القدماء استعملوا ''بني كنعان '' للدلالة على المناطق الجنوبية و الغربية لبلاد سوريا ، أما الإسم اليوناني فهو مشتق من ''فونكس'' التي تعني إضافة إلى معنى ''العشب النخلة '' [2]، من ثم فسر المؤرخون إطلاق اليونانيين اسم ''فينيقيا و الفينيقيون '' نظرا لاشتهار هذا الشعب بصناعة الأقمشة ذات الأحمر، وكان الفينيقيون يقومون باستخلاصه من قواقع البحر المتوسط ، لكن لا يجب إغفال أمرين قد يكون لهما علاقة بهذه التسمية , الأول اشتهار هذه المنطقة بالسمك المعروف باسم ''الموركس '' وهو السمك الأحمر الأرجواني [3] .

وربط العديد من الباحثين كلمة فونيكس التي أطلقها الإغريق القدماء على إسم الصباغ المستخرجة من الحيوانات البحرية ، وأن كلمة فيونيكس (phoinix) لها علاقة وثيقة بالكلمة المصرية (FNHW)(ف.ن.ح,و) ويفسر هذا الاصطلاح بأنه يعني قاطع الخشب في إشارة للفينيقيين الذين كانوا يقطعون الأخشاب من أشجار الأرز في لبنان لصناعة السفن ، وأطلق الإغريق إسم (poiniki) على الصوف المصبوغ بالأرجوان وإسم (POINIKES) ، على سكان الأرض الذين قاموا بهذا العمل [4]، والحقيقة أن أصل فينيقية والفينيقيين على جانب كبير من الغموض ، لذا تعددت أراء الباحثين والمؤرخين في شرحها .

[1] – سابتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 ، ص 122 .

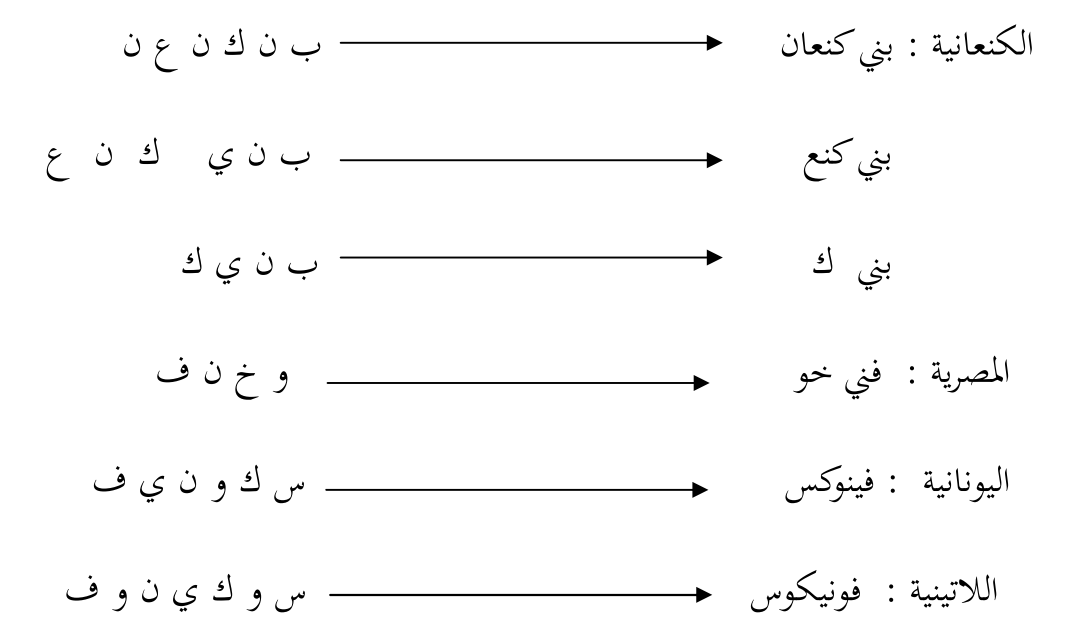
[2] – كونتيتو « ج» الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد الهادي شعيرة ، مراجعة طه حسين الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997 ، ص 34 .

[3] – سباتينو موسكاتي ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة :نهاد خياطة ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق 1988،ص25 .

[4] – محمد مصطفى ، لغة النقوش الفينيقية ، حلب 1988 ، ص 5 .

وهكذا فإن تسمية الفينيقيين ترجع إلى تسمية كنعان وبما أن هذا التسمية أطلقت مع بداية القرن 11 ق.م ، فإن هذا يفيد الباحث عن الحضارة الكنعانية الفينيقية في مسالة التحديد الزمني الذي باتت تضمره التسميتان السابقتان وتعبران عنه وعلى سبيل المثال مملكة أوجاريت التي انتهت في أواخر القرن 12ق.م [1] هي مملكة كنعانية وإبتداءًا من القرن 11ق.م ، يبدأ التأريخ الحقيقي للفينيقيين ومما سبق يتبين أنه رغم تعدد الأراء إلا أنه تصب في المعنى نفسه وهو الصباغ الأرجواني الذي أستخرج من صدف الموريكس ، ولهذا أطلق اسم (PHONOIS) لوصف لون الصباغ ، وسموا أولئك الذين عملوا في هذه المهنة بالـ (phoinikes) الفينيقيين ، إلا أن الحقيقة العلمية الأثرية تقول أن الكنعانيين لم يسموا أنفسهم كنعانيين ، ولا فينيقيين ولا بونيين ولا بني الأرجوان بل كانوا يسمون أنفسهم بني كنعان والأدلة على ذلك كثيرة من نقوش وأثار (هـ ،ا،ن، ح،ن،ب،ن،ك،ي، ع،ن) أي ها نحن بني كنعان .

مخطط يلخص تغير اسم الكنعانيين الى فينيقيين :



[1] – صفية سعادة ، أوجاريت ، بيروت ، 1982 ، ص 106 .

أ-2) أصل الفينيقيين وتاريخهم :

أ-2-1) أصل الفينيقيين :

لقد كان للفينيقيين دور رئيسي في تاريخ بلاد الشام ، إذ قدم الكنعانيون إلى سورية مع الأموريون ، أوفي أعقابهم مباشرة ، وتنتمي المجموعتان الكنعاني والأمورية إلى أصل واحد وتتحدثان لغتين تتشابهان في الكثير من الأحيان حتى أدى هذا التشابه ، إلى أن يطلق على لغة الأموريين إسم الكنعانية الشرقية ، تميزا لها عن لغة الكنعانيين التي عرفت باسم الكنعانية الغربية أو الفينيقية ، على أساس أن كلا اللغتين من أصل واحد [1] ، ويذكر **"هيرودوت"** أنهم ليسوا من أهل البلاد الأصليين وإنما نزحوا من البحر الإريتيري (البحر الأحمر) [2] ، سواء قصد هذه العبارة الجنوب العربي وساحل الحبشة ، وأنهم وصلوا أولا بلاد العرب الصخرية [3] ، شمال الحجاز ومنها دخلوا إقليم النقب ليأخذوا طريقهم بمحاذاة الساحل إلى لبنان وسورية ، ويقول أيضا أن الفينيقيين لما كانوا يدعون في عهده بان أسلافهم من البحرين ، ويشير "سترابون" بأن سكان الخليج الفارسي أكدوا له بأنهم يسمون عندهم باسم صيدا ، وصور ، وان معابدهم تشبه معابد الفينيقيين [4] .

كما أن هناك مواقع في شرق الجزيرة العربية تحمل أسماء المدن نفسها التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الشامي ، مثل صور على ساحل عمان وجبيل على ساحل الأحساء وأرواد ، هذا فضلا على أن هناك من

---

[1] - محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1990 ، ص 122.

[2] HERODOTE ,1ED PLEGRAND, C,U,F, 1949-

[3] - محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1994، ج 1 ، ص 236.

[4] - STRABON , THE GEOGRAPHY TRANSLATED BY HAMILTON , LONDON , 1912, P 16. STRABON ,

رأى أن الفينيقيين قد انطلقوا من البحرين إلى البصرة سالكين طريق الهلال الخصيب إلى الساحل السوري حيث بنو مدنهم هناك .

ويرى بعض المؤرخين أن هذه القبائل ليست إلى خليطا من الآراميين والفلسطينيين والعبرانيين ، وحدتهم الطبيعة الجغرافية ، ويرى آخر ، أن جزيرة سيناء أو بالأحرى البادية العربية المجاورة هي وطنهم الأصلي [1] ، وهناك من يقول أنهم قدموا بدون شك من جزيرة العرب إلى الشمال وظهروا في الألف الثاني قبل الميلاد في أرض كنعان [2].

ولمناقشة هذه الأراء المطروحة من هؤلاء المؤرخين فبالنسبة للرأي الذي يقول إنهم من البحر الإريتيري فيبدوا أن صاحبه هيرودوت كان مدفوعا إلى هذا الإعتقاد ، نظرا للتشابه الكبير في الأسلوب التجاري بينهما ، فالفينيقيون وشعوب جنوبي غرب شبه الجزيرة العربية ركزوا بشكل واضح على التجارة الخارجية بخلاف غيرهم من شعوب شبه الجزيرة العربية ، أم القول أنهم من البحرية الأشورية فهو قول مستبعد ، إذ لو كانوا لذلك لنقلوا معهم بعض المفاهيم الرافدية أقلها القلم المسماري ، هذا إن صح الرأي القائل بأنه لا توجد علاقة بين الأوجارتيين والكنعانيين وبطبيعة الحال نحن نتحدث عن العلاقة العرقية ، إذ يرى البعض أن الأوجارتيين ليسوا إلا الكنعانيين القدماء .

ورغم أننا لا نعرف الكثير عن المعتقدات الدينية والاجتماعية التي كان الفينيقيون يمارسونها في بداية تاريخهم فهم أقرب إلى كونهم قبائل متحضرة ، ولم يكونوا قبائل بدوية كما كان الأموريون والآراميون مثلا ...الخ ،

[1] – سباتينو موسكاتي ، الحضارة الفينيقية ، ص ص 19– 20 .

[2] – محمد أبوا محاسن عصفور ، تاريخ الشرق القديم ، ط 2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 ، ص 287.

وهو ما يتناقض وقول موسكاتي الذي قال أن الفلسطينيين والآراميين والعبرانيين ، الذين اعتبرهم مكونين للعنصر الفينيقي كانوا معاصرين لهم ، حيث أن المصادر التوراتية تؤكد وجود علاقات تجارية واقتصادية فيما بينهم فالوجود الأرامي كان واضحا وظاهرا في الأجزاء الداخلية لسوريا وهو الذي دفع القبائل الفينيقية إلى الإستقرار في الساحل الكنعاني الفينيقي ، إضافة إلى أن الفلسطينيين (القبائل الكريتية – اليونانية) كانت هجرتهم في القرن الثاني قبل الميلاد ، أي بعد ظهور الفينيقيين بألف عام ، إضافة إلى ذلك أن اللغة الرسمية للممالك الفينيقية كانت هي اللغة الفينيقية و يجدر بنا أن نجد في حدودها نقوشا آرامية أو عبرية ولهذا فإن السؤال المطروح ، لماذا تخلت هذه الأقوام بهذه السهولة عن لغاتها وثقافتها ؟.

وهذا الطرح الأخير يفيد أو بالأحرى يؤدي بنا إلى الميل إلى أن موطن الفينيقيين هو سواحل الخليج العربي وهو ما أشار إليه المؤرخ "سترابون " إذ كان تفسيره أنه علم بوجود مناطق في الخليج العربي تحمل أسماء كصيدا وصور و أرواد ، إضافة إلى ما لاحظه من تشابه في المعابد .

أ-2-2) تاريخ الفينيقيين :

يبدأ التاريخ الحقيقي للفينيقيين مع نهاية الألف الثاني ق.م أما الفترة الأقدم فمعلوماتنا عنها قليلة وهي خاصة بمناطق محددة ولفترات متقطعة كما يظهر ذلك في رسائل تل العمارنة وأثار جبيل .

وتقسم الفترة ما بين 3000ق.م (منذ هجرة الفينيقيين إلى عام 1200ق.م)إلى أربع مراحل [1].

المرحلة الأولى : إمتدت حتى غزو الهكسوس لمصر [2]، وقامت بين المدن الفينيقية ومصر إتصالات نشيطة ظهر خلالها الفينيقيون تابعين لمصر .

المرحلة الثانية : بدأت مع خضوع مصر للهكسوس في 1700ق.م .

المرحلة الثالثة : إستمرت حتى عام 1400ق.م وقد بدأت هذه الفترة بعد غزو فينيقية من قبل المصريين ، وكان لزاما على المدن الفينيقية أن تدفع لهم الجزية .

المرحلة الرابعة : بدأت من 1411ق.م واستمرت حتى 1375ق.م وأدت إلى زوال النفوذ المصري بصورة نهائية عن فينيقيا .

[1] - أحمد حمادة ، مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق 1995، ص 08.

[2] - **الهكسوس** : وتعني ملوك الرعاة (هيك ، سوس) حكموا مصر خلال ضعف المملكة المتوسطة ، وشكلوا السلالات الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر وكان نفوذهم مقتصرا في الغالب (مصر السفلى والوسطى) وعاصمتهم آفاريس شمال شرق الدلتا ، وإلههم الرئيس سيف ، سيف الدين الكاتب وآخرون ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، ط 5 ، 1429هـ ، 2008م، ص 78 .

وفي الفترة ما بين 1200ق.م أي عصر الإستقلال تميزت هذه الفترة بتأسيس المستعمرات الفينيقية في منطقة البحر الأبيض المتوسط بكاملها ووصول الكتابة الأبجدية الفينيقية والنتائج العلمية والفنية إلى الإغريق وتأسيس قرطاجة [1] .

شهدت فترة ما بعد 750 ق.م أحداثا دولية المحيطة بالمدن الفينيقية ، ففي ظل حكم الملك الأشوري تجلات فلاسر الثالث (745-727 ق.م) أصبح جزء كبير من فينيقيا مقاطعة أشورية ، وأدى تعيين الملك من صيدا ومن صور ، من قبل الأشوريين إلى دفع الجزية للأشوريين ، وتقييد إستقلال الفينيقيين بشكل مستمر ، أما في ظل السيادة البابلية الحديثة فقد تم القضاء على الملكية من قبل القضاة وظل الإستقلال محدودا ، وصولا إلى السيادة الفارسية ، إذ التزم الفينيقيون بدفع الجزية ، وبعد محاولات فاشلة قام بها الفينيقيون في القرن الرابع ق.م ، وقعوا تحت سيطرة الإسكندر المقدوني سنة 333ق.م الذي قام بتدمير صور [2] بسبب مقاومتها له ، وامتداد النفوذ الهيليني خلال العصر الهلنستي ، وأدى بالتالي إلى اختلال التاريخ الفينيقي وإستبدال تاريخ المدن الفينيقية المتصارعة به وإلى ازدياد الضعف بها فيما بعد لتصبح كرة في يد القوى المتصارعة في سورية وفلسطين ، وبعد غزو فينيقية من قبل الرومان حصلت المدن الفينيقية من جديد على استقلالها وأصبحت مركزا للتجارة والثقافة في ظل فترة السلام الروماني وحتى الزمن البيزنطي [3] .

[1] – **قرطاجة** : موقع أثري بتونس ، أسست سنة 814 ق.م ، قرطاجة تعني المدينة الجديدة (قرط حدشت) ، أصبحت من المدن القوية مهيمنة على البحر المتوسط في ظل حاكمها حنبعل فيما بعد ، سيف الدين الكاتب وآخرون ، المرجع السابق ، 68.

[2] – أحمد حمادة ، المرجع السابق ، ص 09.

[3] – بيزنطا : عندما انهارت إمبراطورية روما الغربية في عام (476م) أصبحت القسطنطينية – إستانبول اليوم – عاصمة روما الشرقية أو الإمبراطورية البيزنطية وعلى الرغم من الصراعات المستمرة عصرئذ ، ظلت القسطنطينية واحدة من أكبر وأغنى المدن ، كما ظلت مركزا للمسيحية الأرثوذكسية حتى سقوطها عام (1453م) على يد السلطان العثماني محمد الفاتح ، سيف الدين الكاتب وآخرون ، المرجع السابق ، ص 113 .

أ-3) بعض شواهد الحضارة الفينيقية :

استقر الفينيقيون في مدن الساحل السوري منذ حوالي الألف الثالث ق.م ووصلوا قمة ازدهارهم خلال السنوات (1200- 800 ق.م) حينما عمت تجارتهم حوض البحر المتوسط وأوجدوا فيه مراكز تجارية ومستعمرات وبلغوا حتى قرطاجة سنة 814 ق.م .

وينسب إلى الفينيقيين العديد من الاختراعات ، والمساهمات الكونية إضافة إلى اختراعهم للأبجدية الصوتية ،كما مارس الفينيقيون تجارة المعادن الثمينة التي كانوا يشترونها مادة خام ليبيعونها بعد تصنيعها ، ويمكننا أن ننسب إليهم صناعة الجواهر المفرغة ، سواءًا أصنعت من ورق الذهب أو من الجدائل ، واشتهر الفينيقيون أيضا برقي نسيجهم المصنوع من خيوط القطن أو الصوف وكان نبلاء الشرق ، يتهافتون على أقمشة صور الرفيعة [1] .

وكان للأرجوان أهمية كبرى لدى الأقدمين ، وذلك أن اللون كان مرتبطا بفكرة السلطة والفن ، ونسب الإغريق اختراع الأرجوان إلى الفينيقيين ،إذ يسود الإعتقاد أن الإله "ملقرت" نفسه قد أكتشفه صدفة ، حيث رأى ذلك على فم كلبه ، الذي كان على الشاطئ حيث العديد من الأصداف ، وفعلا تم اكتشاف كميات هائلة من الأصداف ، مما يشير إلى تطور صناعة الأرجوان [2] ، ويبدوا أنه كان يوجد سر في صناعته ، إذ أكد العلماء والباحثون أنه يستخرج من كل صدفة سوى عدة قطرات .

---

[1] - محمد حرب فرزات ، المرجع السابق ، ص 164 .

[2] - كارلهاينز برنهدت ، لبنان القديم ، ترجمة مشيل كيلو ، مراجعة زياد منى ، دار قدمس للنشر والتوزيع ، ط1 ، دمشق 1999، ص ص 112 - 113.

أ-3-1) لغة الفينيقيين :

لا شك أن لغة الكتابة التي تظهر في النقائش الفينيقية وثيقة الصلة باللغات الأخرى التي نجدها في المنطقة السورية – الفلسطينية القديمة والمعاصرة على حد سواء ، وهي لا شك قد انقسمت إلى لهجات ولكن على الرغم من هده الصلة الوثيقة يمكننا القول إن للغة الفينيقية استقلالا وخصوصية [1]، وهي إحدى اللهجات الشرقية القديمة التي وجدت في جنوب غرب آسيا كاللغة الأوجارتية والآرامية والآكادية والعبرية والتدمرية ، وتمتاز الفينيقية مع تلك اللغات بخواص مشتركة تجعلهامن أسرة لغوية واحدة لم يتوصل الباحثون إلى أقدمها .

وقد تحدث الفينيقيون الذين سكنوا في الشرق من الشريط الساحلي للبحر المتوسط كما تحدث بها سكان جزيرة قبرص وهي معروفة من خلال النقوش التي اكتشفت في تلك المنطقة ، كما استعملت اللغة الفينيقية القديمة في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى .

كما نشر الفينيقيون لغتهم فيما بعد في محطاتهم التجارية ، التي إشتهرت في أرجاء البحر المتوسط ، وسميت باللغة البونية .

وقد أجريت الدراسات الحديثة واكتشفت تغيرا عميقا في الأراء المتعلقة باللهجات الشمالية الغربية فعلى الرغم من أن الوضعية اللسانية في العصر البرونزي الوسيط والبرونزي المتأخر والتي ظهرت بصورة رئيسية في الأمورية والأوغاراتية ، وفي شروح تل العمارنة متماسكة جدا والتي لا يمكن تصنيفها مع لغات العصر

[1] – سباتينو موسكاتي ، الحضارة الفينيقية ، ص 156.

الحديدي ولاسيما الفينيقية والآرامية تظهر في صيغة مستقلة ، نتيجة لتفرعات تدريجية وما تلا ذلك من صياغة للعلامات الفاصلة المستقلة ، هذه الصورة اللسانية تؤكد عمق الثقافة الفينيقية [1].

وانتشرت اللغة الفينيقية في مستعمراتها ، وغطت آثارها رقعة واسعة من العالم القديم فبالإضافة إلى مواطن أصحابها الأصليين في الساحل السوري ، وصلت إلى آسيا الصغرى وبلاد الرافدين ورودس وقبرص ، ومالطا وسردينيا ومصر والمغرب واليونان .

أ-3-2) النقوش الفينيقية :

إن الحروف (أبجد ،هوز،حطي،كلمن ،سعفص ،قرشت) ذات الترتيب متطابق مع ترتيب الأبجدية المسمارية الأوغارتية [2] ، وأن أبجدية أوغاريت التي شاعت في القرن الرابع عشر والثالث عشر ق.م ،إذ تعد أوجاريت وجبيل مصدر الأبجدية الأولى في التاريخ ومنها أخذ الفينيقيون وطوروا لهجة خاصة بهم كانت سهلت في معاملاتهم ، فنقيشة "شفط بعل" تحمل حروفا ذات نموذج أقدم من نقيشة "أحيرام " **(أنظر الملحق رقم 01 ص 105)** وتحمل النقيشة إلى جانب إسم "شفط بعل " إسمي ملكين لجبيل ،هما "أيلي بعل" و"يحيم ملك"[3] وفي نقيشة أحيرام تظهر كتابة أبجدية مكونة من 22 حرفا ملحق تعود الى عام 1000ق.م [4].

---

1 - سباتينو موسكاتي ، الحضارة الفينيقية ، ص 157.

2 - أحمد هبو ، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، 1984 ، ص 76 .

3 - فليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج1، ترجمة جورج حداد ومراجعة جبرائيل ، دار الثقافة ، بيروت 1985، ص 120.

4 - أحمد حمادة ، المرجع السابق ، ص 57 .

ويتبين من لغة النقائش الفينيقية ، أن الكتابات القديمة كانت تفصل بين الكلمات إما بخط كما في نقيشة "أحيرام" وإما بنقطة كما في نقيشة كيلاموا ، أو بالفواصل كما في نقيشة تبنيت [1] ، ملك صيدا الذي يعود إلى القرن السادس ق.م ، وقد عثر عليه في صيدا .

أ-3-3) الكتابة الأبجدية :

لما كانت العلاقة الوثيقة بين (جبيل - بيبلوس) ومصر تعود إلى أوائل الألف الثالث والألف الثاني ق.م ، فإن التفكير بتأثير الهيروغلوفية في نشوء كتابة جبيل محتملا ، كما أنه من الصعب استبعاد تأثير كتابة جبيل القديمة في نشوء الكتابة الفينيقية الأبجدية [2] (**أنظر الملحق رقم02 ص 106**).

ولما كان الفينيقيون الذين يتاجرون في البر والبحر بحاجة إلى الإلمام بلغات الشعوب اللذين اتصلوا بها حفزهم ذلك للوصول إلى طريقة سهلة وسريعة للكتابة فرغبوا في إيجاد كتابة مبسطة سهلة ، يستطيعون كتابتها دون عناء ، إذ كانت الكتابة التصويرية والمقطعية التي كتبها المصريون القدماء و السومريون[3] ،والأكاديون وغيرهم كتابة صعبة ومعقدة وتتطلب وقتا وجهدا لأدائها وكانت حاجة الفينيقيين ملحة في البحث عن بديل للكتابات فاخترعوا الأبجدية التي مكنت الإنسان من تصوير كل صوت من أصوات اللغة برمز وجد من أجله .

---

[1] - أحمد حمادة ، نفسه ، ص 81.

[2] - هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، ترجمة ميخائيل خوري ، بيروت 1959 ، ص ص 127- 144 .

[3] - **السومريون** : 3500ق.م تقريبا ، لم يثبت حتى تاريخه الجهة التي وفد منها الشعب السومري ولم تزل الدراسات الأثرية لتحديد ذلك ولكن من الثابت والأكيد أن الشعب السومري أبدع حضارة راقية في تلك المنطقة منذ منتصف الألف الرابع ق.م واختراع الكتابة البدائية الأولى ، سيف الدين الكاتب ، المرجع السابق ، ص 22.

أضف إلى ذلك فهناك اختلاف كبير بين الأبجدية التي اكتشفت في جبيل وكتابة رأس شمرا ويتلخص الاختلاف في الأبجدية أن أبجدية تابوت أحيرام كتابة خطية تكتب من اليمين إلى اليسار وهي منقوشة على الصخور وتتميز بالبساطة بحيث لا تستدعي كتابتها متخصصين للقيام بكتابتها.

وقد استطاع الفينيقيون خلال أسفارهم التجارية واحتكاكهم بكثير من الشعوب أن ينشروا كتابتهم دون عناء فقد أخذ عنهم اليونان في حوالي القرن السابع ق.م ، بعد أن أضافوا إليها حروفا للحركة وعن هؤلاء أخذ الإترسكيون واللاتين كتابتهم ، ومن جهة أخرى أخذ الأراميون والعبرانيون الكتابة الفينيقية ثم تفرعت عن الكتابة الأرامية الكتابة النبطية والتي انبثقت منها الكتابة العربية [1].

[1] – سيف الدين الكاتب وآخرون ، المرجع السابق ، ص 131 .

ب) دراسة جغرافية للساحل الفينيقي :

ب-1) الموقع والطبيعة الجغرافية :

يمكن رسم موقع الساحل الفينيقي (الساحل السوري الفلسطيني) بتحديد الحدود الشمالية لهذا الإقليم عند النقطة المحاذية لمدينة عكا ، أما الحدود الشرقية والغربية فهي البحر الأبيض المتوسط وجبال لبنان [1] .

أما عن طبيعة الأرض فهي رواسب جيرية ، وقد كانت إلى نهاية العصر الثالث الجيولوجي تغطيها المياه التي انحسرت عنها أثر التصدع الذي أصاب القشرة الأرضية .

وللوضع الجغرافي دور كبير في تحديد حياة السكان وتوزيعهم حسب السهول الزراعية التي إمتدت من الشمال إلى الجنوب .

أما فيما بين الشمال والجنوب فإن الكتلة الجبلية تكاد تعانق البحر ولا تترك مجالا للساحل ، الأمر الذي أثر سلبا في المواصلات وحتى في إنشاء المدن ، وفي هذا الصدد نشير إلى الطريق الدولي القادم من دلتا النيل في مصر عبر سيناء وفلسطين يتفرع إلى فرعين عند جبل الكرمل الذي يكاد ينحصر مباشرة في مياه البحر ، فيواصل فرع صغير من هذا الطريق متابعة الساحل لربط المدن الساحلية الفينيقية بينما يتجه الطريق الداخلي إلى الغرب عابرا جبال لبنان ويواصل سيره داخل سوريا .

[1] - محمد الخطيب ، الحضارة الفينيقية ، دار علاء الدين للنشر ، ط 2 ، 2007، ص 23 .

وقد سلك هذا الطريق معظم الغزاة الذين استولوا على بلاد الشام بجيوشهم فترك الكثير منهم آثاره المنقوشة على الصخور عند مصب النهر شمال بيروت [1] ، وكان الساحل الفينيقي عموما عبارة عن جسر أرضي يربط عدة حضارات متباينة في واد النيل ما بين النهرين في العراق ثم في شبه الجزيرة العربية وفي آسيا الصغرى وبحر إيجه واليونان [2].

ويمكن تلخيص الخصائص الطبيعية للساحل الفينيقي كالتالي :

السهل الساحلي الذي هو ضيق في معظمه ماعدا ناحية الجنوبية والشمالية بالإضافة إلى بعض السهول الصغيرة في الداخل و يمكن إعتبار السلاسل الجبلية وهي على طول الساحل كحاجز منيع يقف بين الساحل والداخل باستثناء نواحي في الشمال .

ويتألف الحاجز الطبيعي من عدة سلاسل جبلية نشير إليها على التوالي : سلسلة جبال الأمانوس في الشمال والتي تكون الحدود الطبيعية بين سوريا وآسيا الصغرى ، يأتي بعد ذلك الجبل الأقرع [3]، الذي يفصله عن السلسلة الأولى سهل العمق الذي تشكل حول مجرى نهري العاصي الأدنى ، في حين تمتد جبال النصيرية ، النهر الكبير الجنوبي الذي يشكل حاليا الحدود بين سوريا ولبنان وفي الجنوب ترتفع جبال لبنان التي تشكل سطحها من صخور كلسية رملية ويوجد في أعلاها قمة القرتة السوداء التي يصل ارتفاعها إلى حوالي 3088م كما توجد بها الساحل الفينيقي منذ أقدم العقود ، وما سلسلة جبال الجليل بفلسطين إلى امتداد طبيعي لجبال لبنان الغربية [4] .

[1] – فليب حتي ، المرجع السابق ، ص ص 64- 65 .

[2] – محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهيره الجغرافي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1969 ، ص46.

[3] – **الجبل الأقرع** : سمي بهذا الاسم لخلوه من الأشجار وقد عرف هذا الجبل سابقا بإسم سافون بالكنعانية وكاسيوس باللاتينية .

[4] – محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1992 ، ص 15 .

ب-2) المناخ والإمكانيات النباتية للساحل الفينيقي :

ب-2-1) المناخ :

لقد جعل موقع الساحل الفينيقي المناخ يتأثر بمناخ البحر الأبيض المتوسط ونظرا لموقعه في المنطقة المعتدلة الدافئة بين درجتي عرض (33°- 38°) شمال خط الإستواء .

إذ تنقسم السنة فيه إلى فصلين رئيسيين : شتاء ممطر مضطرب بارد وصيف جاف حار ، غير أن المسطحات المائية تبعث الرطوبة في الجو وتعدل درجة الحرارة على الشاطئ وتزداد درجة الحرارة في منطقة فينيقيا و إبتداءا من الغرب إلى الشرق ، وبالعكس من ذلك فإن كميات المطر تتناقص من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب ،أما الرياح السائدة في المنطقة فهي الرياح الغربية الممطرة شتاءا ثم الجافة الشرقية في فصل الصيف [1].

ولا توجد في فينيقيا أنهار دائمة الجريان ، بل أن معظم أنهارها فصلية تفيض في الفصل الممطر ، ثم تجف أو تقارب الجفاف في فصل الصيف بإستثناء نهري العاصي والليطاني اللذان ينبعان من الداخل ويصبان في البحر الأبيض المتوسط ، لذلك لم تلعب الأنهار دورا كبيرا في الملاحة الداخلية على عكس ما هو عليه الحال في مصر وبلاد النهرين ومن الملاحظ أن الواقع الطبيعي بقي على حاله لحد الآن وبالتالي فمناخ الساحل الفينيقي لم يتغير بل بقي كما كان عليه منذ القديم [2].

---

[1] - محمد محمود الصياد ، جغرافية الوطن العربي ، ج2، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة 1968، ص 357.

[2] - محمد السيد غلاب ، المرجع السابق ، ص ص 124 - 125 .

ب-2-2) الإمكانيات النباتية للساحل الفينيقي :

تنقسم الإمكانيات النباتية للساحل الفينيقي إلى قسمين :

نطاق المرتفعات الجبلية الشاهقة التي تغطي الأشجار منها المسافة التي تتراوح مابين 1100م-1922م وغالبا ما تتكون أ شجار المرتفعات الجبلية من أشجار الأرز ، ولذلك النباتات ذات الثمار المخروطية التي تقاوم البرودة النابعة عن تراكم الثلوج في قمم الجبال ، وقد تميزت أشجار الأرز التي تنبت في السلاسل الجبلية الفينيقية بالكثرة والقدم كما أشير إليها في الكتب الدينية والكتابات القديمة [1]، وكانت أخشاب الأرز من المواد التجارية الهامة التي تبادلها الفينيقيون مع شعوب العالم القديم ولم تعد هذه الأشجار في الوقت الحالي تلعب نفس الدور الذي كان لها في الماضي وذلك لانقراض معظمها بسبب التعرية من جهة ، ويد الإنسان التي إمتدت إليها على مر العصور من جهة أخرى .

السهول الساحلية وسفوح الجبال الموالية لها حتى إرتفاع 1100م والنباتات السائدة في هذا النطاق هي الأشجار المعتادة في سواحل البحر الأبيض المتوسط كالكروم وأشجار الزيتون والتين وكذلك النباتات ذات البذور من القمح والشعير ، وهناك نوعان من السنديان الذي ينموا في منطقة السفوح الجبلية أولهما النوع المعروف بالعفص ذي الأوراق النفطية والثاني يعرف بالسنديان الأخضر [2].

[1] - فليب حتي ، المرجع السابق ، ص ص 69 – 76.
[2] - محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص 17.

ب-3) جغرافية المدن الفينيقية :

تبدأ الحدود الشمالية لفينيقيا عند النقطة المحاذية لتل سوقا ،ومصب نهر العاصي وتمتد جنوبا إلى النقطة المحاذية لمدينة عكا ونهر بيبلوس ، ومن الشرق يحدها جبال اللاذقية وسلسلة جبال لبنان وتمتد جبال لبنان مما يلي الشريط الذي تتألف منه الوسط وهي توازي البحر على مسافة تقارب ستين ميلا والمسافة بين الجبال والبحر تتراوح ما بين ثلاثين ميلا وسبعة أميال تتخللها نتؤات صخرية تضرب في مياه البحر [1] .

ونظرا لاقتراب الجبال من البحر في معظم المناطق ، فقد كانت الأراضي الصالحة للزراعة محدودة ولا تفي باحتياجات السكان ، كما جعل انتشار الأراضي السلاسل الجبلية ، اتصالهم مع الداخل فيما بينهم صعبا إلى حد كبير [2] ، أضف إلى ذلك التحرشات الخارجية من بعض الإمبراطوريات المعاصرة لهم ، كل ذلك ساعد على تكوين دويلات ومدن صغيرة كما دفعهم إلى الاهتمام بالبحر وتوجيه أنظارهم نحوه .

كما كان للمدن الفينيقية طبوغرافيتها المميزة ، فقد كان لها مرفآن أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب يستخدمان تبعا للرياح والفصول ، كما فضل الفينيقيون الجزر التي تقع بعيدا عن الشاطئ ، حيث كان من الأيسر لهم تحصينها والدفاع عنها [3] .

---

[1] – سباتينو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص 22.

[2] – أحمد حمادة ، المرجع السابق ، ص 7 .

[3] – سباتينو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص23.

فالطبيعة الجغرافية التي يتميز بها الساحل الفينيقي ، فرضت على سكانها تشكيل حياتهم السياسية طبقا لهذه الطبيعة ،فانتهج الفينيقيون نظام المدينة الدولة المتحالفة أو المتنافرة في السلم والمتحدة في الحرب [1] .

ومن المدن الفينيقية ذات الأهمية على طول الساحل من الشمال إلى الجنوب ، مدن **أرواد و جبيل وصيدا و صور** ، بالإضافة إلى غيرها من المدن التي تقل عنها مثل عمريت أو سمير أو عرقة ، وطرابلس ، وبيروت بالإضافة إلى تلك المدن التي تلاشت معالمها واندثرت .

مدينة أرواد : تعتبر هذه من بين أهم المدن في تاريخ فينيقيا بالرغم من أنها كانت قائمة على جزيرة صغيرة مجاورة للشاطئ ، إذ وصلت إلى مكانة تكاد تصل ما وصلت إليه كل من جبيل وصيدا وصور على المستوى الدولي وكان لأرواد حيين منفصلين عن بعضهما أحدهما موجود في الداخل والآخر على ساحل البحر ، على بعد كلم2 إلى جنوب من مدينة طرطوس بينما يوجد الحي الثاني على جزيرة صخرية تبعد بميلين عن شاطئ البحر [2] .

ويرجع سترابون تأسيس أرواد إلى مواطنين صيداويين انتقلوا إلى الشمال فبنوا المدينة [3] ،بينما تشير التوراة إلى أن سكان أرواد من الكنعانيين .

[1] – فليب حتي ، المرجع السابق ، ص 88 .

[2] – نفسه ،ص 90 .

[3] - STRABON,XV 2-13 – NEWYORK .

ومن جهة أخرى شاركت السفن الأروادية ضمن الأسطول الفارسي خلال الحرب الفارسية الإغريقية والتي كانت أبرز معاركها سلاميس سنة 480 ق.م والتي إنتهت هزيمة الأسطول الفارسي [1]، ولعل هذه المشاركة تبرز الأهمية البالغة للموقع الإستراتيجي لمدينة أرواد .

يلي أرواد إلى الجنوب مدينة "عمريت " أي مارتوس [2] وكذلك مدينة "سمريل " و"وطرابلس" [3] ،وتشير الكتابات التاريخية ، إلى أن طرابلس كانت قد أسست في حوالي القرن السابع ق،م ، وكانت عاصمة الإتحاد الذي كان يمثل صور وصيدا وأرواد في العهد الفارسي ، وإلى الجنوب من مدينة طرابلس نجد مدينة "البترون" [4] .

مدينة جبيل : وتتمتع بموقع إستراتيجي على الساحل الفينيقي ، إذ تقوم عند مصب نهر أدونيس ، وتقع على بعد 40 كلم شمال بيروت وتدعى بالفينيقية (بعلة جبال) أي صاحبة الحدود ، وهي المنطقة التي ينفذ فيها النفوذ الكنعاني في الشمال ، المتأثر بالحضارة البابلية والآشورية والحيثية وكانت جبيل القصبة الدينية لفينيقيا [5]، وتعتبر جبيل من أقدم المدن التي سكنت في العالم حيث بدأت علاقتها التجارية مع بلاد اليونان وجزر البحر الإيجي كما عرفت بمينائها الهام الذي كانت تصدر منه الأخشاب الأرز إلى كثير من الدول ، وخاصة مصر التي أقامت معها علاقات منذ عهد الملكية القديمة وقد أسفرت التنقيبات التي استمرت حتى أمد قريب عن العثور على معبد وجدت فيه قرابين تتألف من حلي وهدايا مصرية متنوعة وغنية كما أظهرت

---

[1] – سيف الدين الكاتب وآخرون ، المرجع السابق ، ص 51 .

[2] – **مدينة عمريت** : مارتوس ، المعلومات عنها قليلة ، فيما عدا ذكره شاهد عمريت الذي يعتبر كدليل للرقي الذي وصله الفينيقيون في مجال النحت .

[3] – **طرابلس** : ترابوليس بالإغريقية وتعني المدينة ذات الثلاث المدن .

[4] – تعرف حاليا بالبترون ، سماها اليونان BOTRYS .

[5] – ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، ج 2 ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة 1961م ، ص ص 113– 114 .

الحفريات بأن مدينة جبيل قد تعرضت لحريق مهول في نهاية الألف الثالث ق.م ، ولعل من أهم وأكبر الاكتشافات الأثرية التي توصل إليها التنقيبات في جبيل العثور على الأبجدية الفينيقية فقد وجدت مكتوبة على صخرة بها أسماء بعض ملوك جبيل ويعود تاريخ هذه الكتابة إلى القرن العاشر ق.م .

مدينة صيدا : ويجع تأسيسها منذ تواجد الفينيقيين على الساحل أي حوالي الألف الثالث ق.م ، وقد ترتب عن موقع صيدا الإستراتيجي أن تزعمت المدن الفينيقية وأصبحت من أشهر المدن التي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، إذ أمكن بحارتها من تكوين علاقات تجارية باكرة في منطقة الدلتا في مصر وهناك أسسوا مراكز لهم في منف [1].

وقد سيطر الصيداويون من جهة أخرى على جزيرة قبرص الغنية بالنحاس وكانت لهم مستوطنات إمتدت سيادتهم منها إلى قبرص ورودس ثم جزر بحر إيجه الأخرى حتى وصلوا إلى الساحل اليوناني ، وكانت الكتابة الأبجدية أبرز ما نقلوه عنهم ، ووقفت صيدا في عهد إزدهارها في وجه الهجومات الآشورية وخاصة في عهد "لولي وإيتو" بعل ، ودامت على هذا النحو حتى مجيء غزوة شعوب البحر الذين إستقرت جماعة الفلسطينيين منهم في الناحية الجنوبية من الساحل الفينيقي [2] .

مدينة صور : وتعتبر من بين المراكز الفينيقية الهامة المتواجدة على الساحل الفينيقي ومتكونة من حيين أحدهما موجود على الشاطئ نحو ميل [3]، (أنظر ملحق رقم **03** ص **107**) ، وتستدل هذه الشواهد الأثرية أن

[1] – جان مازيل ، تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)،ط1،ترجمة ربا الخش ، تقديم ومراجعة عبد الله الحلو ، دار الجوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، 1998 ، ص 57 .

[2] – سابتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 122 .

[3] – STRABON X V – 2 ,23 .

موقع المدينة كان عامرا منذ القرن الثامن والعشرين ق.م وحسب الأساطير القديمة تذكر بأن المدينة سكنت أول الأمر من طرف الآلهة الذين سلموها فيما بعد للجبابرة الأقوياء ويشير هيرودوت أثناء زيارته لمدينة صور سنة 450 ق.م ، أن معبد الإله ملقرت قد بنى في نفس الوقت الذي بنيت فيه المدينة وذلك حوالي 2300ق.م ويذكر فيما بعد بأن تأسيس مدينة صور كان قد تم على يد سكان صيدا الذين هاجروا مدينتهم بعد تدميرها ، غير أن هذا لا يتوافق والمعطيات التاريخية فتأسيس المستعمرات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط الذي يعود إلى سنة 1110 ق.م ومنطقيا لا يمكن لمدينة أن تبني نفسها بهذه السرعة وأن تتزعم المدن الفينيقية في الساحل ، ثم تنشئ المستوطنات في فترة لا تتجاوز الخمسين سنة إذ نرجح أن يكون تاريخ تأسيسها سنة 1195 ق.م ويمكن القول بأن تأسيس أهم الممالك كان منذ نهاية الألف الثالث ق .م [1].

[1] – سيف الدين الكاتب وآخرون ، المرجع السابق ، ص 68 .

الفصل الأول : أوضاع الساحل الفينيقي خلال الألف الثانية ق.م .

1- الأوضاع البشرية للساحل الفينيقي

2- الأوضاع الاقتصادية والتجارية

3- الأوضاع السياسية والعسكرية

1) الأوضاع البشرية للساحل الفينيقي :

خلال النصف الثاني من الألف الثانية ق.م وفي حوالي القرن الرابع عشر ق.م كان يسكن الساحل الفينيقي عناصر بشرية متعددة ، بين عناصر سامية وعناصر بيضاء ، كالحوريين والحثيين [1] ،إلا أن الساميين كانوا الطرف الوحيد الذي استطاع أن يسيطر على المنطقة ، في وقت لم تكن العناصر الأخرى تشكل سوى أقليات صغيرة لا أثر لها على أوضاع الساحل الفينيقي والسبب في هذا التنوع يرجع بالدرجة الأولى إلى الموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة ، الذي يتوسط الشرق والغرب والجنوب والشمال وهي منطقة آهلة بالسكان ، ولو أنه في الواقع يلاحظ أن هذه المنطقة الفينيقية كان يسودها العنصر الإيراني أو الشرقي ولم يفد عليها العنصر الشبيه بالأرمينيين إلا خلال الألف الثانية ق.م [2].

وقد سجل التاريخ لهذه الأقوام السامية عدة هجرات متتالية **(أنظر الملحق رقم 04 ص 108)** عبر فترات زمنية مختلفة امتدادا من الألف الرابعة ق.م ، كما نلاحظ أنه في حوالي 3000 ق.م استقر الكثير منهم في الصحراء .

فمع بداية العصور التاريخية بدأت الهجرة الكنعانية من سواحل الخليج العربي وضفاف الفرات الجنوبي وربما إتخذ مسار الهجرة طريقين :

الأول مع نهر الفرات صعودا ، ثم الإتجاه إلى السواحل الفينيقية وتأسيس المدن الفينيقية أما الهجرة **الثانية** فكانت برا باتجاه فلسطين مباشرة وقد استقر المهاجرون في مدن ساحلية وداخلية ، ونرجح أن يكون إستقرارهم في المدن الفينيقية أما الهجرة الثانية فكانت برا باتجاه فلسطين مباشرة وقد استقر المهاجرون في

---

[1] - سيف الدين الكاتب وآخرون ، المرجع السابق ، ص 67 .

[2] - موسكاتي سابتينو ، الحضارات السامية القديمة ، ص 50 .

مدن ساحلية وداخلية ، ونرجح أن يكون إستقرارهم في المدن الداخلية هو الأقدم ثم نزحوا منه وأسسوا المدن الساحلية الفلسطينية ، في حين استقرت الهجرة الأمورية في المناطق السهلية شرق نهر العاصي والليطاني في سوريا ولبنان وفي شرق نهر الأردن ، أما الهجرة الآرامية فقد اتخذت لها من جبال العراق وسوريا مستقرا لقرون طويلة ، ثم حلت محل الأموريين في سوريا بشكل خاص وحول ضفاف دجلة وفرات .

وقد حملت هذه الهجرات العناصر المعروفة بالكنعانيين في فلسطين وساحل سوريا واستوطن آخرون في الشمال وفي الشرق من الهلال الخصيب من بينهم الآكاديون ثم العموريين واستمر توافد تلك السيول البشرية الكبيرة حتى النصف الثاني من الألف الثانية ق.م والتي جاءت بالأنباط إلى سوريا ، وهو الأمر الذي جعل الصحراء ما يشبه خزان ضخم للبشر مثل مصدر إمدادات مستمرة للهجرات السامية الأولى ، مما عزز موقفهم في البلاد بإستمرار عكس العناصر الهند أوروبية التي لم يكن لها وزن في المنطقة .

إختلفت أسباب نزوح تلك الأعداد الهائلة من الساميين نحو الشمال ولكن أساسها يعود بالدرجة الأولى للظروف الطبيعية وعوامل الجفاف التي عمت المنطقة وأدت بدورها إلى تجريد المنطقة من كل معالم الحياة ، مما قلل الفرص أمام الكثيرين في العيش ولو أنه توفرت مناطق ضيقة انحصرت في أطراف السواحل الطويلة للبحر الأحمر والخليج إلا أنها لم تكن قادرة على أن تفي بحاجة السكان الغذائية ، ونظرا للقرب الموجود بين منطقة فينيقيا والصحراء ، وبموجب الإتصال الذي كان يحدث بين شعوب المنطقتين بسبب الترحال التي يقوم بها سكان الصحراء بحثا عن الكلأ لمواشيهم ، فإنه ليس من الشك أن تكون هذه البلاد قد أصبحت محل إغراء لسكان الجنوب الساميين الذين كانوا في معظمهم بدوا رحلا وخاصة بادية الفينيقيين القريبة منهم

التي مثلت موضوع جذب ودفع عندما أصبحت بدورها غير قادرة على أن تفي بحاجة تلك الأعداد الضخمة الوافدة إليها، والتي لم يكن أمامها إلا حل وحيد وهو التقدم نحوى مناطق أخصب في الشمال .

وعلى الرغم من المشاكل والصعوبات التي وقفت أمامهم وحالت دون إستقرارهم ، إلا أنهم استطاعوا تثبيت أنفسهم في تلك المناطق الجديدة نظرا لعوامل عدة ساعدتهم على تحقيق ذلك والتي يعود أهمها إلى الإمدادات البشرية التي كانت تدعمهم بين الحين والأخر ، والتي حملت نفس المميزات ، سمحت للجميع بالتجاوب بين المستقرين والوافدين ، إذ يأتي على رأسها الجانب اللغوي الذي يبدوا فيه تشابه كبير في أصوات وصيغ وتراكيب مفردات لغاتها مما يجعلها ذات أصل مشترك وينفي بذلك كل فرضية إقتباس ، فيما بينهما عبر التاريخ ، ويضاف إلى هذا الشبه العائلي الكبير الملحوظ في النظم الإجتماعية والدينية لتلك الشعوب السامية ، إلى جانب كونها تؤلف كتلة واحدة على الصعيد الجغرافي تم إشتراكها في أصل حضاري تاريخي واحد [1] .

[1] - سباتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص ص 43 – 44 .

1) الأوضاع الإقتصادية للساحل الفينيقي :

إن الطبيعة الجغرافية والمناخ المتوسطي الذي يتوفر عليها الساحل الفينيقي من أراضي سهلية خصبة ، خاصة في الناحية الغربية والوسطى منه حيث تمتد سهول الساحل الفينيقي إلى جنوب سهول فلسطين والتي تتميز بخصوبتها ووفرة إنتاجها الزراعي وكثافة نشاطها البشري ويلاحظ من جهة أخرى أن الإمتداد الكبير للساحل الغربي للبلاد أي الواقع إلى الشرق من البحر المتوسط قد ساعد كثيرا على توفير فرصة للأهالي للاتجار والاتصال بغيرهم من شعوب البحر فتكونت علاقات تجارية كبيرة وفي نفس الوقت الذي أصبحوا فيه بمثابة حلقة وصل بين الشرق والغرب مما نتج عنه تركز ثروات طائلة بأيديهم واستطاعوا آنذك أن يتحدوا الظروف الطبيعية .

ونظرا لكون الأرض قادرة على أن تجود بأنواع الزراعات كالتين والكروم والشعير والقمح [1]، فمن المؤكد أن تنال الزراعة نصيبا من اهتمام الفلاح الفينيقي ، حيث مارسها على نطاق واسع فاستغل أرضه بأدوات مختلفة ، كالمحراث الخشبي والذي يحتمل أن يكون قد أدخل إما من مصر أومن بابل ، إلى جانب استعماله المنجل الصواني للحصاد [2]، في الوقت نفسه أعطوا اهتماما كبيرا للخشب كمورد اقتصادي هام والتي مازالت بعض أشجاره موجودة ليومنا هذا ، كالأرز و السندريان والبلوط والزيتون ، وبالرغم من الظروف الطبيعية الجبلية الصعبة أحيانا إلا أنه تمكن من التغلب عليها باهتدائه إلى طريقة المدرجات التي ساعدته كثيرا على تطوير إنتاجه لكفاية مجتمعه .

[1] - فليب حتي ، المرجع السابق ، ص 138 .
[2] - محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 145 .

هذا وكانت تربية الحيوان من أقدم وأكثر النشاط الإقتصادي إنتشارا بين الفينيقيين ومع ذلك فإن المصادر المختلفة إنما تظهر لنا أن القوم لم يقتصروا في نشاطهم على تربية قطعان الماشية وزراعة الحاصلات الزراعية وإنما زرعوا كذلك الكتان ، بقدر ما سمحت لهم رقعة الأرض المحدودة في شرقي البلاد .

ضف إلى ذلك فقد إشتغل الفينيقيون بالصيد كذلك وبرعوا فيه بحكم وقوعهم على الشاطئ وصنعوا الزوارق من خشب الأرز ومن أشهر مدن الصيد الفينيقية مدينة صيدا حتى أن البعض ذهب إلى أن إسمها قد إشتق من الجذر السامي "صيدا" بمعنى صيد الأسماك .

كما إشتهر الساحل الفينيقي ببعض الصناعات ، كصناعة الصبغة الأرجوانية ذلك لأن الطول الشاطئ يعيش فيه نوع من القواقع فوق الصخور وتحوي هذه القواقع مادة أرجوانية ، استغلها الفينيقيون إستغلالا ناجحا وسخروا هذه المادة بطريقة علمية دقيقة واحتكروا تجارتها بمعرفة سرها دون سائر الأمم ، إذ أن هذه الصباغة أصبحت ذات شهرة عالمية في العالم القديم ، كما كانت المنسوجات المصبوغة لا يقدر على إقتنائها سوى الأغنياء ، لأن الثياب الأرجوانية اللون هي عنوان التفوق عصرئذ .

صناعة النسيج : كانت صناعة الغزل والنسيج من أهم الصناعات المنزلية التي قامت بدور كبير في الحياة الإقتصادية في فينيقيا وكانت المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة تتمثل في الصوف والقطن ومن الكتان الذي كان يزرع بكثرة في بلاد الشام ، منذ القرن العاشر قبل الميلاد .

صناعة المعادن والعاج والفخار : أتقن الفينيقيون صناعة المعادن منذ عصر البرونز ، فاستخدموا النحاس والبرونز بوفرة كما استخدموا الفضة على نطاق واسع بل استخدمت كذلك في التبادل التجاري بين فينيقيا وغربي آسيا وكانت صناعة الفخار من أهم الصناعة بالحضارات الكبرى – في وادي الرافدين وغيرها من الحضارات المجاورة [1] .

صناعة الزجاج : لقد استطاع أصحاب هذه الحرفة في هذا المجتمع أن ينالوا مكانة مرموقة بين الأرستقراطية الإقطاعية المؤلفة من النبلاء المحاربين ، بسبب رواجها والإقبال الكبير عليها إذ أبدع الفينيقيون أنواعا مختلفة من الأدوات الزجاجية كتلك التي كانت للاستعمال العادي مثل الكؤوس والزجاج المستعمل والقنيات التي نجدها في القبور ، وكانوا يصنعون بطريق النفخ زهريات من الزجاج الرقيق جدا وكان الناس يقدرونه ، بحيث صارت هذه الزهريات أحيانا جوائز تعطى في بعض مسابقات المصـارعة .

ويقول الدكتور محمد السيد غلاب في هذا الصدد أن صناعة الزجاج كانت مصرية قبل أن تكون فينيقية معللا ذلك أن المادة الأولية التي يصنع منها الزجاج (النطرون) كانت تستورد من مصر [2] ، وهو ما يفسره "رينيه ديسو" أنه إذا كان المصريون قد إبتكروا عجينة الزجاج القاتمة فإن الزجاج الرقيق الشفاف من إبتكار الفينيقيين [3] .

وعلى العموم فإن الأوضاع الإقتصادية لفينيقيا كانت تعرف شيئا من الازدهار ، نظرا لطبيعة المجتمع الفينيقي وعلاقته بالأرض وكيفية التعامل معها ، هذا وإن كان التطور الحاصل في الجانب الاقتصادي نعمة

[1] - محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص ص 148 – 152 .
[2] - محمد السيد غلاب ، المرجع السابق ، ص 440 .
[3] - محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 152 .

، فمن ناحية ثانية كان نقمة ، إذ جلبت إلى المنطقة أنظار بقية الدول الطامعة في الثروة والسيطرة التي سارعت إلى العمل جاهدة من أجل إدخالها تحت نفوذها .

2) الأوضاع السياسية للساحل الفينيقي :

طبع الحياة السياسية للساحل الفينيقي خلال الألف الثانية قبل الميلاد الانقسام والتفرق بين سكانها ، مما أدى إلى سيادة ممالك المدن خلال تلم الفترة فتنافست فيما بينها من أجل امتلاك أكبر مساحة ممكنة ولو إن هذا الأوضاع أوحت به ظروف معينة يأتي على رأسها الظروف التضاريسية التي صعبت الإتصال بين أبناء البلاد وبين مختلف مناطقها وهذا إنعكس بدوره سلبيا على حياة شعوبها حتى أدى إلى إختلاف ميول أهلها إلى جانب وجود مشكل تمثل في تكوين إمبراطورية موحدة على غرار ما فعله جيرانهم ويمكننا إستخلاص ذلك بسهولة عند إلقاء نظرة سريعة على الوضع الجغرافي للبلاد ، والذي يظهر من الوهلة الأولى ومن خلال السهل الساحلي الذي تركزت به أهم الوحدات السياسية التي كانت نموذجا واضحا للوضع السياسي العام السائد في البلاد المتمثل في ممالك المدن المستقلة المحصنة وهي ظروف كانت تتناسب ورغبة السكان الذين لم يفكروا في البحث عن الوحدة في أغلب الأحيان ولو أن الطبقات الأرستقراطية بدورها والتي كانت تتولى أمور المدينة أملت دائما في إستمرار مثل هذه الأوضاع لتحقيق أغراضها ، في الوصول إلى الحكم .

وعند محاولة تحديد نظام حكمها الذي كان ملكيا ، فإننا عادة نجد على رأس المدينة ملك وراثي يتمتع بالسلطة المطلقة وإلى جانبه مجالس ذات نفوذ معتبر في تسيير شؤون البلاد ، أهمها مجلس الشيوخ وكان معظم أعضائها من الأغنياء مما يجعلنا نقول أنها كانت تمثل نفوذ الطبقة الغنية في المملكة في وقت لم يكن

فيه للشعب أي اعتبار يذكر تقريبا في الإشراف على توجيه سياسة البلاد وعلى كل فإن هذه الممالك على العموم لم تحاول المغامرة في سياستها الخارجية والتطلع إلى توسيع نفوذها أو حدودها وإنما إكتفت بالعمل على الدفاع عن نفسها بالمبادرة إلى تكوين فرق من الجيش المختلفة في حجمها ، من أبناء المدن والمناطق المجاورة لـها .

– وقد كانت مجهزة بأسلحة كالسيوف والرماح والدروع والفرسان بعرباتها ولو أن هذه الفرق العسكرية لم تكن في الحقيقة قادرة على أحسن وجه أمام قوى الجوار كالجيوش المصرية أو الحيثية وغيرها من جيوش بلاد الرافدين ، وهو ما دفع بها في كثير من الأحيان إلى تكوين أحلاف دفاعية مؤقتة ، لا فاعلية لها مثلما كان الحال في معركة "مجدو" أما الفرعون "تحوتمس الثالث" الذي تحالف ضده أكثر من 350 أمير وملك من فينيقيا [1] ، ويلاحظ أن معظم تلك الجيوش كانت تدعم بالمرتزقة عند الضرورة وأدى التنافس بين هذه الممالك إلى إستغلال تلك الفرق بين الجيش أحيانا في غير محلها ضد بعضها البعض حيث تصادمت في أحيان كثيرة إلا أن ذلك الصراع لم يتخذ في يوم ما طابع الإستمرارية وإنهاك القوة مثلما كان عليه الحال في شبه الجزيرة البيلوبونيز وبين مدنها كأسبرطة وأثينا [2] .

[1] - فليب حتي ، المرجع السابق ، ص 140 .

[2] - لطفي عبد الوهاب يحى ، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ،1991 م ، ص 169 .

الفصل الثاني : البحرية وعوامل التوسع الفينيقي في غربي المتوسط

أ- البحرية الفينيقية ومقوماتها

1- نشوء البحرية الفينيقية

2- صناعة السفن

3- إنشاء الموانئ

4- عوامل التوسع واكتشاف المناطق الغربية

ب- مراحل التطور والتوسع نحو الغرب:

1- تطور الملاحة البحرية وعلم الفلك عند الفينيقيين

2- تأسيس المحطات التجارية

3- تأسيس المستوطنات وبداية الاستقرار في غربي المتوسط

أ) البحرية الفينيقية ومقوماتها :

أ-1) نشوء البحرية الفينيقية:

لا شك أن الظروف الطبيعية والحضارية لعبت دورا كبيرا في اتجاه الفينيقيين إلى البحر واعتمادهم عليه في صميم حياتهم [1] ، ذلك أن الجبال الممتدة من الأمانوس شمالا حتى جبل الكرمل جنوبا تمثل حاجزا طوليا موازيا للساحل (أنظر الملحق رقم 05 ص 109)فحرم سكان المنطقة من السهول الزراعية الواسعة ، ومن أحواض الأنهار الكبرى ، غير أن هذه الجبال من ناحية أخرى وفرت لهم الأخشاب والتي تمثل المصدر الرئيسي لبناء السفن التي نقلتهم إلى معظم أجزاء العالم كما أن الحاجة إلى الأخشاب كانت من بين دوافع صراع قوى الجوار للسيطرة على المنطقة ، ويبرز هذا بوضوح في النقش الذي ينسب للملك سيتي الأول ملك مصر، مدى احتياج مصر لأخشاب فينيقيا ، كما أشير إلى أهمية أخشاب الأرز الفينيقية في الاتفاقية التي تمت بين أحيرام ملك صور، وسليمان ملك العبرانيين في بداية الألف الأول ق.م [2].

[1] – محمد أبو محاسن عصفور، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981م ، ص53 .

[2] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص54 .

أ –2) صناعة السفن :

لقد عمل الفينيقيون على تطوير الأسطول البحري لحاجتهم إليه لذا عرفوا تجاراً ومستعمرين، وكانت الحركة البحرية حيوية جداً بالنسبة إليهم .

هذا وكانت السفن الفينيقية بسيطة أول الأمر ، لا تقوى على أن تتوغل في ماء البحر ، فلم تكن أكثر من زوارق مكشوفة ، قليلة الارتفاع ، قليلة الغوص تكتسحها الأمواج العظيمة ، ولا تستطيع أن تحمل قدرا كبيرا من السلع ، وكانت هذه السفن تصنع من خشب الأرز ، وتدهن بالدهن النباتي الذي يقوى على مغالبة الماء ، ثم قطعوا شوطا آخر في فن بناء السفن فكبر حجمها بعض الشيء ، وأستعين في تسييرها بالمجاذف وبالشراع معا ، وأصبح سمكها كبيرا لحد ما [1] .غير أن العمل الجريء ، هو بناء السفن العظمى ماخرة المحيطات فقد ساعد هذا الملاحة البحرية بشكل كبير ، إذ نبغ الفينيقيون في مجال صناعة السفن ،وتفوقوا على الحضارات المعاصرة لهم ، كبلاد الرافدين والحضارة المصرية ،إذ ورد في العهد القديم وصف شامل للمواد التي صنعت منها السفن " **قل لصور أيتها الساكنة عند مدخل البحر تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة ، أخذوا من لبنان ليضعوه لك سواري ،صنعوا من بلوط باشان مجاذفك** "[2] ،لكون الملاحة عندهم كانت مقتصرة فقط على الملاحة النهرية بينما الفينيقيون وبفضل عبقرية تصميمهم ركبوا البحر وجابوا شرقه وغربه ، فالتصميم الذي اعتمدوه لهذا الغرض عمل على تطور السفن ، فالسفن كانت

[1] – محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية ، ص 270 .

[2] – الكتاب المقدس ، سفر حزقيال ، ص 33.27.

شراعية في أغلب الأحيان ، وبالطاقة البشرية التي تعتمد على التجديف(أنظر الملحق رقم 06 ص 110)، لذا كانت سفناً طويلة ونحيلة، بنيت كي تكون سريعة وقادرة على المناورة، مع صفيّن من المجاديف للتوجيه.

وكانت صناعتها تمر بعدة مراحل ، نقل الأخشاب من أماكنها من أعالي الجبال تتم بطريقة ذكية إذ تقطع الأخشاب وتحمل من طرف العمال مباشرة ، كما أشير إلى ذلك في اتفاقية أحيرام وسليمان التي ذكرناها آنفا ، وبعد نقل الأخشاب إلى أسفل تجمع وتوضع في أحواض (أنظر الملحق رقم07 ص 111)ويشرع في صناعة القوارب والسفن ، وقد استعان الفينيقيون بتقنيات جديدة في صناعة السفن كالصالب (أنظر الملحق رقم 08 ص 112)وهو عبارة عن عمود يمتد إلى قعر السفينة ، لغرض استعمال الأشرعة الأحادية أو المزدوجة ، ،حيث كانت السفن التجارية شراعية على الدوام وكان الشراع يرفع إلى الأعلى بدل أن ينزل إلى الأسفل في حالة عدم الاستعمال [1].

في بادئ الأمر ارتاد الفينيقيون البحر لغرض التجارة وإيجاد أسواق خارجية لذا فسر سبق البحرية التجارية وتطورها على نظيرتها العسكرية ، ونظرا لان سرعة السفن الفينيقية في بادئ الأمر لا تتجاوز بضعة أميال فإن مدنهم على الساحل ، ومستوطناتهم على شواطئ الحوض الغربي للبحر المتوسط كانت قريبة من بعضها بحيث لا تزيد المسافة الفاصلة بين المدينة وأخرى عن تجذيف يوم كامل .

[1] – كارلهاينزر برنهردت ، المرجع السابق ، ص 124.

أ -2- 1) **السفن التجارية :**

بما أن الفينيقيين أمة تتعاطى التجارة وفي بحثهم عن مناطق جديدة، كانوا بحّارة أسطوريين يعرف أن سفن الفينيقيين التجارية سافرت إلى أبعد من البحر المتوسط ، وقد ساعد على ذلك طريقة تصميمها وصناعتها[1] ، حيث كانت طويلة منبعجة في الوسط تظهر بمقدمة ومؤخرة مرتفعتين وشكل المقدمة غالبا ما يشبه عنق ورأس طير (**أنظر الملحق رقم 09 ص 113**) ، وكانت السفن التجارية في أول الأمر شراعية ثم تقدمت صناعتها عندما أصبحت تتوغل في البحار والمحيطات فزودت بالمجاذيف التي يستعان بها في غالب الأحيان عند الدخول إلى الموانئ أو الخروج منها في حالة سكون الرياح وهي تشبه إلى حد كبير السفن الحالية ، ضف إلى ذلك فقد تميزت السفن التجارية بالسعة الكبيرة لحمل البضائع وقد عثر على على أحد التوابيت في مدينة صيدا بفينيقيا ، رسم عبارة عن جسم سفينة مستديرة مؤخرتها مرتفعة على شكل رقبة طير البجع ومقدمتها تنتهي بسقيفة حارس.

أ -2- 2)**السفن الحربية :**

السفن التجارية تختلف عن نظيرتها الحربية حيث أن هذه الأخيرة كانت مستطيلة الشكل ولها مؤخرة مرتفعة ومقدمة غالبا ما تكون على مستوى الماء مجهزة بكتلة حديدية أو برونزية في شكل رمح يطلق عليها اسم رأس الكبش تستعمل لتحطيم سفن الأعداء أو قلبها في الماء أثناء الإصطدام بها ، فالصور التي تثبت أنهم كانوا مجهزين بأسلحة برونزية ظهرت مجدداً في تصاميم السفن الحربية القديمة وهو الرمح في مقدمة

[1] - جريدة صيدا نت ، 2006/11/01، مركز الهلال للإنتاج والتوزيع .

السفينة، فمن الصعب جداً تحديد الفترة التي تطور فيها رمح مقدمة السفينة(أنظر الملحق رقم 10ص **114 – 115**)، ضف إلى ذلك الصور التي على الآنيات و المزهريّات تظهر امتداداً لقعر السفينة إلى خارج هيكلها وهذا الرمح في المقدمة للأغراض حربية، يبلغ طوله أربعة أقدام ، وفي مرحلة ما اكتشف البحارة أن الهجوم على سفينة معادية بهذا الرمح في المقدمة يمكنه أن يتسبّب بثقب السفينة، وبالتالي وُلدت فكرة استخدامه لأغراض هجومية في الوقت المناسب ، ما إن لاحظ البحارة أن بإمكانه أن يحارب العدو بواسطته ويدمره، وضع إمكانياته في سرعة سفينته وقدرتها على المناورة ولأن السفن كانت تعتمد على الطاقة البشرية، حاول البحارة وضع أكبر عدد من الرجال على طول السفينة [1] .

وزيادة في السرعة فإن السفن الحربية الفينيقية كانت مزودة بصفيّن من المجاديف، كان الصف السفلي على مستوى قاع السفينة الأساسي، فيما الصف الثاني كان مُثبّت بألواح خارجية بعيدة عن هيكل السفينة. هذه الألواح الخارجية كانت تؤمن مزيداً من الثبات لسفينة ضيقة وطويلة إضافة إلى مزيد من المجدفين على متن هذه الألواح ، ثم تطورت صناعتها فيما بعد فأصبحت ذات ثلاث صفوف وأربعة وتصل في بعض الأحيان إلى تسعة [2] ، وهذا جعل من السفن الفينيقية خصماً لا يقهر، بفضل هذه سفن التي نجحت في حماية الأساطيل التجارية وفي إحدى الفترات أصبحت صور أغنى، مدينة في العالم،وبفضلها أنشأ الفينيقيون مستعمرات في مناطق متفرقة في البحر الأبيض المتوسط ، فقد أثبتت الدراسات والحفريات التاريخية على قوة الأسطول الفينيقي كونه الورقة الرابحة للحضارة الفينيقية عصرئذ ، وليس على القوة

[1] – غيد إلياس بيطار ، السفن الفينيقية باع طويل في فنون الإبحار والتجارة والحرب ، الوحدة يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والتوزيع – اللاذقية ، الخميس 2006/8/10 .

[2] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 62.

فحسب وإنما على الأثر الكبير الذي تركه الفينيقيون في تصميم السفن ، إذ تظهر الرسوم على أحد القصور السورية تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، السفن الفينيقية ، والتي كان لهذا الرمح تأثير كبير في الحروب البحرية ولأن السفن كانت قادرة على القتال بطريقة مختلفة، قبل وجود الرمح، يقاتل البحارة الأعداء وكأنهم على اليابسة، يقتربون منهم، يقصفونهم بوابل من السهام ، بحيث يمكنهم القيام بذلك على اليابسة، و لكن بوجود الرمح، فأنهم يمتلكون طريقة أخرى في القضاء على سفن العدو،إذ يسمح الرمح بالقيام بمناورات بحرية خاصة، بالإعتماد على طاقة و قدرة المجدفين على التحكم في اتجاه السفينة ، لذا اعتبر المؤرخون هذا التصميم في السفن كإنجاز كبير في الأساطيل البحرية القديمة ،إذ أدرك الإغريق قوة هذا الانجاز وتأثرت صناعة السفن لديهم بالسفينة الفينيقية ،وكانت النماذج الأولى نسخة واضحة عن السفينة الفينيقية المزدوجة القعر، وعرف التاريخ عن هذه السفن بالاسم اللاتيني "بيريميس" الذي يعني صفيّن من المجاديف و ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، كانوا يعتمدون على ال"بنتكونتر" وهي سفينة مكشوفة خفيفة، ذات شراع مُربّع و25 مجدافا من كل جانب،و كانت هذه السفينة متأثرة هي الأخرى بالسفن الفينيقية .

أ –3) إنشاء الموانئ :

ارتبط رقي موانئ الساحل الفينيقي إلى مواقع تجارية قائدة في العالم القديم خلال الألف الأولى قبل الميلاد بعوامل مختلفة للتطور السياسي والإقتصادي ،إذ كان إستغلالها الماهر مأثرة من مآثر التاجر الفينيقي ، وتبين كلمات العهد القديم ، الطابع البحري لصور كقوة بحرية بفضل مواقعها وموانئها " **وبخروج بضائعك من البحار أشبعت شعوبا كثيرين ، وبكثرة ثروتك وتجارتك أغنيت ملوك الأرض** "[1].

وقد برز الفينيقيون عن معاصريهم في الإستغلال العملي للموانئ ، إلى أن صار التبادل التجاري في البحر أمر عادي ، والحصول على سلع المناطق الأخرى بواسطة فائض منتجاتهم الأصلية ، قاعدة راسخة لاقتصاد المدن الفينيقية الخارجي ، والأكيد أنه كانت للمواصلات البحرية أخطارها ، لكن الموانئ الفينيقية إستطاعت المحافظة على نشاطها ، بقصر الملاحة على فصول ملائمة ومخر البحر على مقربة من الساحل ، وعلى كل حال ، فإن المخاطر كانت قليلة هنا بالقياس إلى مكاسب التجارة الكبرى ، والتي تمكن المصدرين والمستوردين من زيارة زبائنهم دون إجبارهم على دفع جزء من عائداتهم إلى وسائط نقل أجنبية وكان هؤلاء قادرين على التحرك بسرعة ، يستطيعون في أثناء أسفارهم التجارية التكيف في وقت قصير مع حالة السوق أو البحث عن أسواق جديدة .

ففي بادئ الأمر كانت أوضاع الموانئ ، التي كانت طبيعية ، صالحة لأغراض السفن التجارية صغيرة ، وإمكانات توسيعها محدودة ، إذ لم تتجاوز مساحة مرفأ جبيل الداخلي ، المحمي بتحصينات وبمكسر للأمواج ، هكتارا ونصف الهكتار ، يفسر هذا التواضع في حجم موانئها صعوبة بناء سفن يزيد طولها على

[1] – الكتاب المقدس ،سفر حزقيال 33، 27.

خمسين مترا و إقتناء أسطول تجاري أكبر[1] ، وسبب بقاء أسطولها متخلفا ، إذ لم تكن ظروف الساحل الفينيقي أفضل جوهريا إلا في صيدا وصور ، إذ أن مرفأ صيدا الشمالي ، القائم إلى اليوم وتحويله إلى مكان رسو مغلق ومحمي من العواصف ، كانت مساحته تبلغ حوالي سبع هكتارات ملجأ آمنا لأكثر من مئة سفينة متوسطة الحجم ، وفي حكم أحيرام الأول تطور خليج مرفأ صور الشمالي وحمي من العواصف الشتوية ببناء كاسر أمواج هائل بلغ طوله مائتين وخمسة وعشرين مترا في حين حمى المرفأ الجنوبي،الذي يبلغ طوله سبعمائة مئة وخمسون مترا ، فكانت مساحته ، التي زادت على خمسة عشر هكتارا ، أكبر بكثير من مساحة المرفأ الشمالي ، كما كان المرسى الواسع إلى جنوب المرفأ الداخلي محميا بدوره بمكسر أمواج بني من كتل حجرية ضخمة ، هذا العمل المعماري ، الذي بلغ طوله خمسة كيلومترات امتد إلى مقابل موقع تل الرشيدية تقريبا ، هذا ما أسمته النقوش المصرية (أوشو) وأطلق الإغريق عليه إسم (بلايوتيروس) ويمثل أكبر قواعد صور العسكرية أهمية على البر ، هذه الأحواض الكبيرة في صور ، المزودة بتجهيزات تقنية متنوعة بينها حوض جاف ، كانت مجهزة لإستقبال السفن الحربية في مرائب بعضها مسقوف ، وعندما كانت تلك لا تتسع للسفن الحربية ، فإن الطويلة منها كانت تسحب ببساطة إلى مواقع رملية على الشاطئ ، لأن غطاسها لم يكن يتجاوز المتر الواحد .

[1] – كارلهاينز برنهردت، المرجع السابق ، ص126.

وبعد تطور وكثرة الموانئ الفينيقية، دأب الفينيقيون في الحركة التجارية ودفعها إلى الأمام[1]، وقد عملوا على إتباع مبدأ الميناءين في المدينة الساحلية الواحدة سواء كان ذلك في فينيقيا الأم أو معظم مستوطناتهم الأخرى في غربي المتوسط وكان هدفهم من ذلك في أول الأمر وضع سفنهم في مأمن من تقلبات الطبيعة وهيجان البحر ، ولذلك فإنهم كانوا يختارون الميناء المحمي من الرياح ويرسون فيه الميناء الجنوبي من المدينة وإذا كان العكس فإنهم يختارون الميناء الشمالي وهكذا استطاع الفينيقيون ببراعة تفكيرهم أن يتعاملوا مع تقلبات الطبيعة في أول الأمر .

أما بعد ظهور بناء الأرصفة القوية والحواجز الجدارية التي تحمي الموانئ فان هدف الفينيقيين من مبدأ وجود الميناءين قد تغير وأصبح الغرض منه إستراتجيا ، كذلك ساعد الفينيقيين على بناء الموانئ طبيعة بناء مدنهم على رؤوس داخل البحر أو جزر قريبة من الساحل ، وقد بنيت على النمط الأول أي على (رؤوس) كل من صيدا التي كانت تتمتع بميناءين أحدهما إلى الشمال من المدينة والثاني إلى الجنوب منها ويعتقد بأن هذين الميناءين كانا متصلين من الداخل بقناة تربط بينهما [2] .

وقد وصف المؤرخون ميناء صيدا الجنوبي بأنه يتكون من أرصفة وحواجز وأحواض ومحاط من الداخل بصخور كبيرة ربط فيما بينها فأصبحت تشكل رصيفا قويا في وجه الأمواج .

---

[1] – أحمد عارف الزين ، تاريخ صيدا ، مطبعة العرفان صيدا ،1913م ، ص24.

[2] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 63.

وتشير الكتابات التاريخية إلى أن الملك أحيرام الذي إزدهرت في عهده صور حوالي القرن العاشر ق.م هو الذي أوصل بين جزيرة صور والجزر الصغيرة المحاذية لها بسور ثم كون الميناءين الشمالي والجنوبي طبقا للعادة الفينيقية وربط بينهما بقناة داخلية ، ويلاحظ هذا النموذج في مدن الساحل الغربي كقرطاجة مثلا هي الأخرى بنيت على رأس داخل البحر وتتمتع بميناءين ، أحدهما تجاري له شكل مستطيل يحيط به صور قوي يبلغ عرضه حوالي خمسة أمتار يتم قفل مداخله بسلاسل حديدية وهناك قناة توصل إلى الميناء الداخلي له شكل دائري هو الميناء الحربي الذي كان يعرف بالقاطون ، كذلك الأمر بالنسبة لجزيرة صقلية وجزيرة سردينيا تتمتعان بميناء مزدوج ، ونفس الشيء بالنسبة لمدينة قادس في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الأيبيرية هي الأخرى تتمتع بنظام الميناءين التجاري والحربي إذ قدم سترابون وصفا لطبيعتها ، أضف إلى ذلك مراكز الفينيقين في كل من البليار وصقلية ، ويرجح بعض الباحثين ان تكون هذه المراكز قد إحتوت موانئ مزدوجة بغية إستعمالها كقواعد حربية خاصة في الألف الأولى قبل الميلاد [1] .

[1] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص54 .

أ – 4) عوامل التوسع و اكتشاف المناطق الغربية :

أ – 4- 1)**العوامل السياسية والعسكرية** : لقد كان نفوذ قوى الجوار الأثر البالغ في التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط حيث وضعية الساحل ، في الألف الثاني قبل الميلاد ، غير ملائمة ،إذ طغى على المنطقة صراع سياسي وعسكري خاضته دول مجاورة للساحل الفينيقي بقصد الاستيلاء عليه كالإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى و الدولة المصرية في وادي النيل وما يليه من غزوات لشعوب البحر التي كانت قد دمرت كل معالم الحضارة أمامها .

و لا شك أن أهم العوامل السياسية والعسكرية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسع في البحر الأبيض المتوسط ، الصراع التي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفينيقي ومن أهمها :

غزوة الحثيين : إذ لم تكن طبيعة الحثيين تختلف عن طبيعة الشعوب الشرق الأدنى التي سبقتهم في الاستقرار بالمنطقة أو حكمت بعدهم خلال فترات زمنية متباينة إذ كان معظمها قد خلفت لنا سجلا تاريخيا حافلا بتدوينها على مختلف الآثار تخليدا لهم ، فهذا الأمر نفسه لم يكن يقل أهمية عند الحثيين ، وبحكم وجودهم بالقرب من الساحل الفينيقي الذي كان يزخر بالغنى والخيرات التي لا تحصى فكان لابد لها أن تكون محط أنظار الحثيين الذين لم يلبثوا بدورهم أن حولوا كل اهتمامهم اتجاهها منذ وقت مبكر من وجودهم بآسيا الصغرى وفعلا بدأت الإنطلاقة الأولى للتوسع الحيثي في فينيقيا منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد وبداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أثناء فترة الدولة الحيثية القديمة في عهد الملك "خاتوشيل الأول" الذي حاول الإغارة على شمال فينيقيا مركزين على مدينة حلب نظرا لأنها منطقة

إستراتجية بحكم موقعها الهام وكان ذلك سنة 1595 ق.م [1]، وعلى كل فإن التوسعات الحيثية في الساحل الفينيقي مرت بعدة مراحل كان أخرها إغارة الحيثيين على الساحل في عهد "شيبيلوليوما" في الفترة ما بين 1358ق.م إلى 1353 ق.م وهي الفترة التي بدأت فيه الدولة المصرية تخرج من سباتها.

التوسع المصري : خلف احتلال "الهكسوس " لمصر قرابة القرنين من الزمن ذعرا كبيرا في نفوس المصريين جعلهم يتخوفون من احتمال تكرار هذا الحادث من جديد ، ولئن كنا قد عرفنا من قبل كيف تمكن فراعنة طيبة من الوصول إلى تحقيق وحدة البلاد بعد صعوبات كبيرة ، إلا أن عظمة وخطورة هذا الحدث وما نتج عنه لم يجعل المصريين يكتفون بطرد الغزاة من بلادهم فحسب ولكنهم واصلوا لمطاردتهم داخل وطنهم للإنتقام منهم وهو ما سمح لهم في نهاية الأمر من إخضاعهم لسيطرتهم منذ وقت مبكر إبتداءا من فترة " أحمس " محرر البلاد من الهكسوس وخلفائه من بعده من "التحامسة" وتمكنوا بذلك من التحكم في نقطة انطلاقهم ، وأتموا هذا العمل بالتوسع في آسيا حتى وصلوا إلى الفرات عام 1520ق.م ، وفرضوا على أهلها الضرائب وعلى الرغم من ذلك كله فان أولئك البدو(الهكسوس) لم يستسلموا حيث بدؤوا في إثارة الفتن ، ضف إلى ذلك فقد علم الفينيقيون أن تعاظم قوة مصر خطرا على حريتهم ثم أنهم لم يرضوا إطلاقا بأي سلطة خارجية عليهم ، ذلك أن هذا الأمر لم يألفوه من قبل ، وليس هناك شك أن معركة "مجدو" دليل قاطع على قوة تلك المعارضة التي أبداها الفينيقيون ضد تواجد القوى الخارجية في بلادهم [2] .

---

[1] – حتي فليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص 166.

[2] – عبد المجيد عبد المالك ، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية ،ط2، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، لبنان 2002 ، ص 33.

غزوات شعوب البحر : عادت مع نهاية الألف الثانية ق.م الهجرات البشرية تتدفق على الشرق الأدنى القديم قادمة من أوربا تحمل معها موجات جديدة من الهند أوربيين ، عرفت لدى المؤرخين باسم "الأخيين" تدفقت خاصة على جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا ، لقد كانت أول ضحاياهم الدولة الحيثية ، إذ مكنتهم قوتهم العسكرية من تحقيق انتصارات كبيرة ، وتخريب عدة مدن ، كما سحقوا طروادة عن بكرة أبيها ، والكثير من الشعوب الإيجية وراحوا يلاحقونهم في الجزر وعبر السواحل [1]، غير أن بعض المؤرخين يرون بأن تحركهم هجرة وليس غزو .

لقد تركت غزوات شعوب البحر إنعكاسات كبيرة على الشرق الأدنى القديم وشبه جزيرة البيلوبونيز وأدت إلى تحولات جذرية سياسيا وإقتصاديا وعسكريا ، ولعل أهمها على الإطلاق تدمير إمبراطورية الحيثيين والتي تهاوت نهائيا وعرفت بها آسيا الصغرى نكبة [2] ، كما عرف الساحل الفينيقي إنهيار عدة مدن نهائيا كمدينة أوغاريت وبذلك تشتت الفينيقيون إلى أصقاع مختلفة في أنحاء العالم القديم .

كل هذه الاضطرابات السياسية والعسكرية التي كانت سائدة في شرقي البحر الأبيض المتوسط وبحر اليونان سمحت للفينيقيين بأن يستغلوا ضعف البحرية الإغريقية التي تداعت عقب غزوة شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد وانطلق الفينيقيون إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط ببناء مستوطنات تجارية بعيدة عن الصراع الذي كان يشغل جزأه الشرقي ، وقد إختار الفينيقيون الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط لوجود فراغ سياسي فيه يرجع إلى تأخر سكانه في التطور و ضعف القوة الحربية لديهم ، وهذا

[1] - توينبي أرلوند ، تاريخ البشرية ، ترجمة نيقولا زيادة ، مكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1958 ، ص 145 .

[2] - نفسه ، ص 167.

الشيء يتناسب مع الروح التجارية الفينيقية التي كانت تنزع إلى العلاقات السلمية حتى يتوفر لها المجال لتنفيذ أغراضها التجارية .

أ – 4– 2) **العوامل الإقتصادية :**

ترتبط العوامل الإقتصادية للتوسع الفينيقي إرتباطا وثيقا بالعوامل السياسية ذلك أن العاملين يتأثر بالأوضاع البشرية و الطبيعية التي كانت تحيط بمنطقة الساحل الفينيقي ، فالبيئة المحلية لم تعد تكفي لإعاشة السكان الذين يتزايد عددهم باستمرار ، ولم يعد إنتاج الزراعة يكفي لإطعام سكان المدن الساحل ، ونتيجة لهذه الظروف الطبيعية الصعبة ، كان على الفينيقيين أن يلتمسوا سبلا أخرى للمعيشة فقد أدت قلة مساحة الأرض الزراعية في الساحل الفينيقي إلى تحويل اتجاه السكان من الإعتماد على الزراعة مثل جيرانهم في وادي النيل وبلاد النهرين ، إلى الاعتماد على التجارة البحرية فلم يجدوا مخرجا آخر سوى أن يتجهوا للبحر ، وساعدهم على ذلك توفر الموانئ الصالحة في سواحل بلادهم، إذ ساعد الفينيقيين على إحتراف التجارة أسباب عديدة أبرزها :[1]

- مواقع مدنهم القائمة على رؤوس متوغلة داخل البحر ، وعلى جزر متقطعة بالقرب من الساحل وهذا ما وفر لهم ووجود موانئ طبيعية وأحواض تصلح لبناء السفن .
- توفر الأخشاب التي اشتهرت بها غابات جبال لبنان على مر التاريخ ساعدهم في إحتراف صناعة الأخشاب وبناء السفن بصفة خاصة .

[1] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 48 .

- تحكم الساحل الفينيقي في الطريق الدولي الذي يصعد من وادي النيل عبر سيناء ويربط مناطق إزدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا وآسيا الصغرى وبلاد الرافدين .

ولا يختلف إثنان أن الفينيقيين أول أمة بحرية في التاريخ ، وفي البداية كانت رحلاتهم البحرية قصيرة ، لصيد الأسماك ، وللحصول على أنواع من الأصداف التي يستخرجون منها نوعا من الأصباغ التي عرفت باسم " الأرجوان" أوللبحث عن الزجاج والصلصال وبعض السلع الأخرى ، وكان الفينيقيون يتبادلون التجارة مع البلدان التي ترسوا على سواحلها .

ثم إزداد هذا النشاط التجاري بعد القرن الثالث عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد ، بتأثير من الأراميين عليهم في وسط سورية في أعقاب هجمات شعوب البحر على سورية ومن جانب اسرائيل والفلسطينين ، الذين أحاطو بهم من الجنوب [1] .

أ – 4– 3) **العوامل الاجتماعية** : تأثر الفينيقيون إلى أبعد حدود بالبيئة التي عاشوا فيها ، فقد كانت جبال لبنان التي خلف مواطنهم ، تعرقل صلة السهول الساحلية بالأقاليم الداخلية ، لهذا إنعدمت الوحدة السياسية للفينيقيين في فترات كثيرة من تاريخهم حيث كانوا يتبعون نظام المدينة الدولة الذي فرضه عليهم عدة عوامل طبيعية وبشرية كانت تحيط بالمنطقة التي استقروا فيها ، وقد نتج عن إتباع سياسة المدينة الدولة أن سادت النزاعات الداخلية بين المدن الفينيقية وكثر التنافس بين الأمراء على الحكم مما جعل الساحل الفينيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة ، غير أن النزاعات الداخلية بين المدن الفينيقية وكثر التنافس بين

[1] – حلمي محروس إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1997م ، ص 156 .

الأمراء على الحكم ، مما جعل الساحل الفينيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة ، وكانت هذه النزاعات الداخلية بين المدن الفينيقية لا تكتسي طابع العنف مثلما كان يقع بين مدن شبه جزيرة البيلوبونيز التي غالبا ما تكون النزاعات بينهم تؤول إلى حروب طاحنة تستنزف فيها إمكانياتها البشرية والمادية ، ويمكن أن تكون الأسباب المانعة لمثل هذه النزاعات إلى قوة جيران الفينيقيين الأقوياء الذين كانوا في غالب الأحيان يقفون حاجزا لمنع هذه المدن من الدخول في حروب قد تضر بمصالحهم الإقتصادية [1].

مرحلة الإرتياد الباكرة : يمكن أن نعيد مرحلة ارتياد الفينيقيين الباكرة لغربي البحر الأبيض المتوسط وبلاد المغرب إلى فترة ازدهار الأساطيل الفينيقية على الساحل السوري والتي بدأت منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد وكان الفينيقيون خلال رحلاتهم الاستكشافية الأولى عبارة عن تجار متنقلين يجرون وراء الأرباح ، وخاصة عندما اكتشفوا قيمة المعادن الثمينة ، هذه المعادن كانت متوفرة في غربي البحر الأبيض المتوسط ، لاسيما في منطقة شبه الجزيرة الإيبيرية التي كانت تحتوي على مناجم الفضة والنحاس في (ترشيش) ، ويعتقد أن المعدنين المذكورين كانا قريبين من سطح الأرض بحيث لا يستدعي الحصول عليهما حفر المناجم العميقة ، ومن المرجح أن التوسع الفينيقي بدأ في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد حيث يذكر بعض الكتاب الكلاسيكيين أن قادس (على الساحل الجنوبي لأسبانيا في شمال غرب جبل طارق) أسست سنة 1110ق.م ، وأوتيكا على الساحل الشمالي لإفريقيا غرب قرطاجة سنة 1101ق.م ، وليكسوس على الساحل الأطلسي لإفريقيا فإنها كانت قبل ذلك ومهما كان الأمر فإن إنتشار الفينيقيين غربا جاء في أعقاب وصول شعوب البحر وقبل ظهور اليونان ، ومما يؤكد ذلك أن الكتاب المقدس يشير إلى أسطول

---

[1] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 50.

صور التجاري في عهد سليمان كان قادرا على القيام برحلات طويلة وشاقة [1] كما أن شواهد الأحوال تدل على أن هجوم شعوب البحر على شرق البحر المتوسط ، حوالي 1200 ق.م قضى على نفوذ الميكينيين الذين كانوا يسيطرون عليه وأدى إلى ظهور الفينيقيين في انطلاق شديد – ومرت ثلاثة قرون (الحادي عشر والعاشر والتاسع قبل الميلاد) قبل أن يبدأ اليونان في توسعهم وبعدئذ حدث تنافس شديد بين اليونان والفينيقيين في ميدان التجارة ، وعلى أي حال يمكن أن نستنتج بأن التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط بدأ حوالي 1100 ق .م أو قبل ذلك [2] .

[1] – الكتاب المقدس ، سفر الملوك 22،10 .

[2] – أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص 54.

ب) مراحل التطور والتوسع نحو الغرب :

ب – 1) تطور الملاحة البحرية وعلم الفلك عند الفينيقيين :

كان الفينيقيون روادا في فن الملاحة أيضا ، وكان لملاحيهم صيت ذائع بوصفهم أكثر أبناء مهنتهم معرفة وخبرة ، وبالفعل فإنهم كانوا أول شعب من شعوب البحر الأبيض المتوسط البحرية مارس الملاحة في أعالي البحار ، حققت الملاحة بفضل الفينيقيين إنطلاقة جديدة ، فقد كانت حتى الألف الثاني قبل الميلاد مقتصرة على الملاحة النهرية التي كان المصريون يقومون بها في نهر النيل خلال الزمن الذي وجدت فيه حضارة الميكانيين وشعوب أخرى في الحوض الشرقي للبحر المتوسط و يعد الفينيقيين البحارة الأوائل في العصر القديم ، الذين جازفوا بأنفسهم في عرض البحر الأبيض المتوسط الغربي وتوغلوا في المحيط الأطلسي [1] ، ورسموا خطوط الملاحة الدولية وتعتبر الأولى في العصور القديمة ، إذ لم يكن الفينيقيون يسيرون في البحر بغير هدى ولم يكونا قراصنة كم تصورتهم الأساطير الإغريقية ، حيث تقدم أوديسة هوميروس تفاصيل مهمة حول الملاحة الفينيقية ، ومع أنها كتبت في مرحلة متأخرة ، فإن شعرها عكس بدقة بيئة البحارة في الألف الثاني قبل الميلاد ، فقد أعطت الأوديسة لمحة عن الملاحة الفينيقية وحالها ،ى" **هل لديكم عمل أو أنكم تتجولون دون هدف ، هنا وهناك على البحر كقراصنة تجول مجاذيفهم بالبر ، يخاطرون بحياتهم كي ينهبوا ما لدى الأغراب** " ، في هذا النص وُصفت الملاحة الفينيقية على أنها قرصنة بحرية [2] ، كما بينت أن الملاحين الفينيقيين كانوا يبحرون بناء على خطط مرسومة وإستطاعوا ، كما اشرنا آنفا ، أن

[1] – فرانتس كارل موفرز ، الفينيقيون ، ترجمة عبد الله الحلو ، المجلد الثاني ، ج 3 ، برلين ، ص 185 .

[2] – العربي عقون ، الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب في القديم وأهمية البحر الأحمر، مجلة الحوار ، العدد: 2648 – 16 / 5 / 2009م .

يشقوا لأنفسهم طرقا ، لعل من أهمها ذلك الطريق الذي يمر من صيدا إلى صور ثم يمر بمصر مباشرة و يتجه إلى قبرص ، ثم يتجه غربا إلى طوروس وليسيا ، عن طريق رودس وكريت ، ثم يتجه إلى صقلية ، ثم شمال إفريقية ثم إسبانيا ، وهناك طرق أخرى فرعية تتجه إلى الشمال أو الجنوب ، و منذ الألف الثالث قبل الميلاد كان الفينيقيون يبحرون حتى مصر وبحر إيجة وفي الألف الثانية وصلوا إلى الغرب إلى نوميديا وشبه الجزيرة الإيبيرية وكان ملاحة صور أول من وصل إلى مضيق جبل طارق ولدى رؤية البحر بلا حدود اعتقدوا أنهم في طرف الدنيا وسموا الصخرتين التي انتصبتا وجها لوجه أمامهم ، على الشط الأوروبي سوتا ، عمودي ملقارت ، مفترضين أن الإله غرسهما هنا بيده بالذات من أجل تحديد الأرض ، وفيما بعد وبعد التحقق أن العالم لا ينتهي هنا، تجاوزوا جبل طارق عدة مرات لكن هذه الفكرة المرتبطة بالمضيق عاشت وأخذها اليونان والرومان وسموها عمودي هرقل ، ولعل أهم محاولات الفينيقيين تجاوز جبل طارق برز جليا من خلال الرحلات كرحلة حملكون البحرية ، إذ سرد هذا القرطاجي عن رحلته رواية لم تصل إلينا ولكن إطلع عليها بعد عدة قرون من ذلك شاعر لاتيني وأشار إليها في بعض أشعاره ، فبعد أن إنطلق حملكون من قرطاج ، قصد إلى قادس الواقعة على مسافة قريبة من مضيق جبل طارق ، ومن هناك إلتف حول شواطئ إسبانية مبحرا نحو الشمال ، متبعا الرياح الموسمية خاصّة وأنّهم تعرّفوا إلى خصوصياتها(أوقات هبوبها وتغيُّر ذلك الهبوب)، ثم أوغل إلى المحيط مغامرا وإلتقى بأرصفة من الطحلب والرمل وبضباب كثيف ، ووصل بعد صعوبات كثير إلى "بروتانية" و "كورنواي" وربما إلى إيرلاندا ، وهدفت هذه الرحلة الرسمية إلى إنعاش أسواق الرصاص والقصدير التي ساعدت الفينيقيين على تطوير الملاحة للإستيلاء على مناجم الفضة في إسبانية و

إحتكار جميع موارد المعادن الثمينة تقريبا في العالم الغربي [1] ، لذا حافظ الفينيقيون على سرية النتائج الاقتصادية والتجارية لرحلاتهم الإستكشافية وحفاظا على طرقهم الملاحية ، وفي القرن السادس سار البحار حانون على طول شواطئ إفريقيا الغربية حتى الكامرون الحالية ، ووصفت رحلته في نص مترجما إلى الإغريقية [2] ، تم نقشه بالإزميل على شاهدة داخل معبد الإله بعل همون في قرطاجنة ، إذ يبدوا أن المشروع القرطاجي كان هائل الأبعاد ، إستهدف الأمر تأسيس مدن للمستعمرين الفينيقيين وشارك فيه عدد كبير من قطع الأسطول محملة بألف من الرجال وعدد من النساء الذين ذهبوا في هذه الرحلة إما قسرا وإما يحدوهم الوعد ببعض المنافع وهذا السبب الأخير أقرب إلى الواقع ، وفضلا عن سفن النقل التي واكبتها ولم يأت ذكرها في التقرير ، تأسس في سياق هذه الحملة مجموعة من مستقرات وقعت الجنوبية منها على مصب نهر السنغال ، رغم أن الأسطول أوغل في إبحاره جنوبا إلى أن بلغ ساحل الكامرون كما يعتقد ، كما لا يحدد تقرير رحلة حانون تفاصيل الطريق الذي اجتازته ، لكنه يضع بالمقابل ذكاء الملاحين الفينيقيين وقوة أسطولهم البحري عصرئذ [3] ، وعلى الأرجح خضعت الأماكن التي وطئها حنون مع أصحابه منذ زمن طويل لنفوذ قرطاج الإقتصادي

ضف إلى ذلك فمن أشهر رحلاتهم البحرية التي استغرقت ثلاثة أعوام ، دارت فيها سفن الفرعون "نخاو الثاني" (610-595 ق.م) بملاحيها الفينيقيين حول إفريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح [4] ، ففي عهد نخاو تمّت الرحلة البحرية الكبرى التي دارت حول أفريقيا حسب نصّ هيرودوت والتي أثارت جدلا كبيرا بين

[1] – مادلين هورس ميادان ، تارخ قرطاج ،ترجمة إبراهيم بالش ،ط 1، منشورات عويدات، بيروت – باريس ،1981،ص 86.
[2] – ف.دياكوف ،س.كوفاليف، الحضارات القديمة ، ترجمة نسيم واكيم الياجزي ،ط 1 ، الجزء الأول ، منشورات دار علاء الدين ، ص 168.
[3] – كارلهاينز برنهردت ، المرجع السابق ، ص 138.
[4] – محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية ، ص 271 .

المؤرّخين والمهتمّين، وفي سفر الملوك [1] ، إشارة إلى أنّ سليمان بنى أسطولا بالقرب من ميناء إيلات على خليج العقبة وجهّزه بربابنة وبحّارة فينيقيين وأرسله إلى بلاد أوفير الأسطورية حيث جلب في رحلة واحدة مايقارب400 تالنت من الذهب.

إذ يروي هيرودوت وقائع الرحلة البحرية التي قادها ربابنة وملاحة فينيقيون مهرة ما بين حوالي 600 إلى 595 ق.م ، فقد ذكر هيرودوت بأن أولئك الملاحة إنطلقوا من خليج السويس وطافوا حول أفريقيا [2] ،وعادوا عن طريق مضيق أعمدة هرقل إلى مصر وجاء في حديثه ، " يحيط البحر بليبيا (أفريقيا) من كلّ جهة ما عدا القسم الملتصق بآسيا وأول من برهن على ذلك هو الملك المصري نخاو، إذ أرسل أسطولا يقوده ربابنة وملاحة فينيقيون في مهمّة للطواف حول أفريقيا بحيث تكون عودتهم إلى مصر عن طريق أعمدة هرقل والبحر الشمالي (البحر المتوسّط) ، فانطلق الفينيقيون من "البحر الأحمر" (خليج السويس) وأبحروا في اتجاه البحر الجنوبي (بحر العرب والمحيط الهندي) ، وكانوا كلّما دخل فصل الخريف يقومون بسحب مراكبهم نحو الشاطئ،ثمّ ينزلون إلى البرّ ويزرعون هناك ويقيمون بانتظار فصل الحصاد وعندما يحلّ يجمعون المحصول ويصلحون مراكبهم ثمّ يواصلون رحلتهم حتّى وصلوا أعمدة هرقل، وفي السنة الرابعة عادوا إلى مصر ورووا الوقائع التي شاهدوها وهي وقائع صدّقها البعض ولكن أنا (هيرودوت) لا أصدّقها، حيث ذكروا بأنّهم عندما طافوا حول ليبيا (إفريقيا) كانت الشمس على يمينهم وأنّهم بهذه الرحلة إكتشفوا ليبيا بالكامل"

[1] – الكتاب المقدس ، سفر الملوك 22،10.

[2] – كارلهانيز برنهردت ، المرجع السابق ، ص127 .

وقد حاول المؤرخون تركيب الرواية الهيرودوتية على جغرافية إفريقيا بافتراض انطلاق الرحلة في شهر مايو لتتمّ الاستعانة بالرياح الشمالية التي تهبّ على البحر الأحمر من مايو إلى سبتمبر بحيث يكون الوصول إلى غاردافوي ، وفي شهر أكتوبر وهو الشهر الذي يحدث فيه انقلاب الرياح الموسمية إلى شمالية شرقية وبذلك يستفيد أسطول الرحلة من تلك الرياح في الإبحار قبالة ساحل إفريقيا الشرقي بمساعدة تيار الموزمبيق السريع فيكون الوصول إلى الشاطئ الذي بنيت فيه مدينة الكيب تاون الحالية ،وفي شهر أبريل من السنة الموالية، وتتواصل الرحلة لتصل في شهر جويلية الموالي شمالي خطّ الإستواء دون إغفال التوقُّف المتكرّر،وفي شهر مارس من السنة الثانية تصل الرحلة إلى السنغال وتكون العودة إلى مصر في السنة الثالثة ، غير أنّ انعدام أيّ أثر أركيولوجي (كتابات ، نقوش ...) يقلّل من مصداقية هذا الافتراض [1]، وإذا كان البعض يعزو ذلك إلى حرص الفينيقيين دائما في أسفارهم على التكتّم الشديد ، وهو السبب الذي عمّق غموض هذه الرحلة ، فإنّ ذلك لا يفيد الرواية الهيرودوتية في شي .

ومن جهة أخرى كانت السفن الفينيقية بسيطة أول الأمر لا تقوى على أن توغل في البحر،كما أنها لا تستطيع أن تحمل قدرا كبيرا من السلع وبمرور الأيام نجح الفينيقيون في التوصل إلى صناعة السفن الكبيرة التي تستطيع أن تمخر عباب البحر المتوسط الأمر الذي قلب فن الملاحة رأسا على عقب ، فأشتدت جسارة الفينيقيين على السيطرة على البحر وركوبه ، وتضاعف نشاطهم ، كما تضاعفت تجارتهم ، ثم لازمهم حسن الطالع بالإستعانة بعلم الفلك وبإكتشاف أهمية النجم القطبي ، إذ يبدوا أن علم الفلك كان مألوفا

[1] – العربي عقون، الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب في القديم وأهمية البحر الأحمر، مجلة الحوار ، العدد: 2648 – 16 / 5 / 2009م .

بالنسبة إليهم ، ومن أبرز الشواهد على ذلك أن نجمة القطب بقيت زمنا طويلا تدعى"**النجمة الفينيقية**" [1] ومن ثم فقد أقبلوا على الإبحار ليلا معتمدين على النجوم ، وفي النهار بالشمس ، وقد تعلم الإغريق هذا الفن منهم ، حتى أن أسماء النجوم والأجرام الإغريقية هي نفسها الأسماء الفينيقية [2] ، أو مجموعة النجوم المعروفة باسم الدب باسم المجموعة الفينيقية [3]، و أوجبوا لها العبادة والاحترام ،فتعددت من جراء ذلك الأرباب وتنوعت الطقوس ، ونفس الشيء في بلاد النهرين ، إذ أن للفينيقيين و القرطاجيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالإله بعل هو الشمس وكذلك الإله بعيث هو القمر والنجوم ، ونسبوا إليه الكرامات والمعجزات وأقاموا له التماثيل والمعابد [4] ، ففي بادئ الأمر وجهت السفينة من مركز فوقها ، حيث أن الفينيقيين كانوا لا يعرفون البوصلة وبالتالي يعتمدون على الإله بعيث في أسفراهم وعلى النجم القطبي الذي سماه اليونان باسم فونيكس ، وقد بلغت الملاحة على أثرها من المجد كل غاية وأقصى إزدهار في شرقي البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الحادي عشر ق.م في عهد صيدا وصور [5].

---

[1] – جان مازيل ، تاريخ الحضارة الفينيقية والكنعانية ، ترجمة ربا الخش ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية اللاذقية ، ص 69 ، **وينظر** ، فرانتس كارل موفرز ، الفينيقيون ، ترجمة عبد الله الحلو ، المجلد الثاني ، ج 3 ، برلين ، ص 185 .

[2] – محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية 1410هـ – 1990م ، ص 172.

[3] – محمد أبو محاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 122 .

[4] – أحمد عارف الزين ، المرجع السابق ، ص 22 .

[5] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص57 .

ب – 2) تأسيس المحطات التجارية :

كان نجاح هذا الشكل من التجارة البحرية رهنا بمصادفات عديدة ، ذلك أن السفينة التي تقل حمولتها كثيرا عن مائتين وخمسين طنا لم تكن مكانا ملائما لأغراض تجارية تستمر نصف عام في مرافئ أجنبية ، من أجل تخطي هذه الصعوبة ، أسس الفينيقيون مراكز تجارية دائمة لها منافع عديدة ، بينها إستقبال وإيواء الحرفيين الفينيقيين ، وتطوير خدمة الزبائن ، وتقديم الحماية والتموين لتجار وطواقم السفن ، كما أقام تجار فينيقيون في وقت مبكر مؤسسات تجارية على الشواطئ الأجنبية لتحقيق تلك المنافع ذاتها ، تباينت في أهميتها وطابعها ، كانت مهمتها العامة القيام بوظائف مكاتب تجارية يمكن أن يتشكل حولها بمرور الوقت حي فينيقي خاص في المدن الساحلية والداخلية التجارية الكبيرة ، وأقيمت كذلك مؤسسات تجارية فينيقية على الشواطئ الغير مستغلة ، في أماكن الرسو الدوري للسفن ، وفي الأراضي الخاصة التي كانت تشترى من السكان المحليين أو تستملك ببساطة لأنه لا مالك لها ، وقد تطورت مؤسسات المناطق الغنية بالمواد الأولية إلى مدن ،شكل الفينيقيون قسما من سكانها وشريحتها العليا في آن معا .

وتعيدنا النقوش المكتوبة واللقى الأثرية ، التي تشير إلى وجود المؤسسات الفينيقية في شواطئ أجنبية ، إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، إذا ما غضضنا النظر عن التواصل المباشر بين مصر وممتلكاتها الأسيوية [1]. لذا فقد كان لأسواق التجارة الدور الفعال في تقوية العلاقات الاقتصادية والإجتماعية سواء بين الفينيقيين فيما بينهم ، وقد كانت محطات الإستراحة وأسواق التجارة الفينيقية موزع على كامل سواحل بلاد المغرب ، وتشير الكتابات التاريخية إلى أن عدد هذه المحطات التجارية كان قد بلغ حوالي 300 محطة تجارية ، وحسب سترابون فقد أقام الفينيقيون حوالي 300 محطة في البحر الخارجي .

[1] – كارلهاينز برنهردت ، المرجع السابق ، ص 131.

ب – 3) تأسيس المستوطنات وبداية الاستقرار في غربي المتوسط :

لم يكتف الفينيقيون بمجرد المتاجرة والعودة من حيث أتوا ، بل كانوا يستقرون ويقيمون المستوطنات ، وينشئون مدنا فينيقية جديدة ، ويواصلون إتصالهم بالمدن الفينيقية الكبرى في وطنهم الأصلي عن طريق البحر ، ويقومون بتصريف المنتجات الفينيقية في البلاد التي أقاموا فيها مستعمراتهم وجمع المواد الخام المطلوبة ، وإرسالها إلى بلاد الشام [1] ، وكان الذين يستقرون لا يثيرون فزع السكان الأصليين ، إذ كانت أعدادهم قليلة ، وكانوا يتسربون دون أن يثيروا الريب والشكوك ولم يكن لهم اتجاه سياسي معين فسرعان ما يتلائمون مع الوسط الذي يعيشون فيه ، فإذا تم إذا تم بناء المستوطنة ، واستقر فيها المهاجرون بدأت تتصل بالمدن المجاورة ، وتعمل على بناء علاقات معها ، وربط علاقتها مع المدن الكبرى في الساحل الفينيقي ، وهكذا انتشرت المستوطنات من رأس الدلتا إلى ساحل شبه جزيرة البيلوبونيز كما انتشرت في جزر في البحر الأبيض المتوسط ، وقد أجمع المؤرخون على أن المستوطنات الفينيقية في شرق البحر المتوسط أقدم من مستعمراتهم في إفريقيا وإسبانيا [2] ، فقد إستقروا في قبرص ورودس منذ منتصف القرن الحادي عشر ، ثم إستقروا بعد ذلك في صقلية ثم في سردينيا.

فمن أقدم المستوطنات الفينيقية ، ومن أهمها ، التي أقاموها في جزيرة قبرص في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، لقربها من الوطن الأم حيث ساد التبادل التجاري بينهما لدرجة أنه كان يصعب التمييز بين المنتجات الفينيقية والقبرصية [3] .

[1] – حلمي محروس إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 156 .
[2] – محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية ، ص 274.
[3] – حلمي محروس إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 158 .

في اليونان : سعى الفينيقيون النزول إلى بلاد اليونان ، وكثر تردد تجارتهم عليها ، بل يبدوا أن بلاد اليونان لم تخل من مستعمرات فينيقية ، يدل على هذا إنتشار الأسماء السامية في بلاد اليونان ، كما أن بعض المعبودات اليونانية متأثرة بالديانة السامية ، ويبدوا أن الفينيقيين لم يتركوا ناحية من البحر المتوسط إلا أوغلوا فيه فأنشئوا في ساموس وكريت ، بل يذهب "ديودور الصقلي" إلى القول بأن أهل مالطة من أصل فينيقي ، كما أن أهل "تراقيا" فينيقيو الأصل أيضا ، وعلى أية حال ، فليس بجزيرة مالطة آثار لمدينة فينيقية ، ومع ذلك فهناك مقابر "بونية" كثيرة ، ترجع إلى القرن الخامس ق.م وما بعده [1]، وهناك عدد قليل منها يرجع إلى القرنين الثامن والتاسع ق.م ، وربما كانت أشهر مواقعها هو حيث تقع اليوم مدينة " فاليتا".

في إسبانيا : كانت معظم المستعمرات الفينيقية في إسبانيا تقع في ترشيش وبخاصة في المنطقة بين قرطاجنة وقادس ، وهذه الأسماء السامية للأماكن شائعة جدا ونراها على نقود بقيت حتى الآن ، واسم ترشيش الذي نصادفه في كتابات التوراة وآشور هو اسم فينيقي على الغالب بمعنى المنجم أو مكان الصهر وكانت مدينة طرسوس في كلكيلية التي ولد فيها القديس بولس تحمل نفس الاسم كما أنها مستعمرة فينيقية ، وطقوس عبادة بعلها كانت تشبه تقريبا الطقوس المتبعة في صور و قرطاجة ،وسميت قرطاجنة باسم المدينة الأم في شمالي افريقية ، ومدينة ملقة معنى إسمها دكان أو معمل صغير ، ويذكر سترابون مكانا لتمليح الأسماك في هذه المدينة وهو أمر يدل على ما كانوا يصنعونه هناك ، ومدينة قادس كانت أيضا معروفة بإنتاج

[1] – محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية ، ص 278 .

الملح ، وكانت قرطبة بالأصل مدينة إيبيرية إستولى عليها الفينيقيون ، وأقدم نقودها تحمل حروفا فينيقية استبدلت فيما بعد بالبونية [1].

ضف إلى ذلك ، ففي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ، أسست قادس المسماة باللاتينية كادس ، فهي أقدم المستوطنات الفينيقية وأهمها في تلك البلاد وقد دعاها الفينيقيون قادير ، أي التحصين ، وقد تناول كل من ديودور الصقلي وسترابون ، أن الفينيقيين الذين كانوا يمخرون عباب البحار منذ القدم بهدف التجارة ، وأقاموا العديد من المستوطنات في ليبيا والقسم الغربي من أوربا ، وخرجوا إلى ما وراء المضيق وأقاموا عند ضفافه مدينة قادس .

ويؤرخ فيلي باتر كولي تأسيس قادس على الشكل التالي ، إذ يذكر بأنه في العام الثمانين على سقوط طروادة ،أقام الأسطول الصوري ، الأقوى في البحر ، مدينة في آخر الدنيا ، في إسبانيا ، على جزيرة يلفها المحيط ، هي مدينة قادس [2] .

كما تعد مستوطنة قادس في شبه الجزيرة الإبيرية من بين المستوطنات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وقد أسسها التجار الفينيقيون لأغراض إقتصادية والحصول على خامات المعادن كالفضة والقصدير ، والنحاس وإستبدالها بالمواد المصنعة التي كانوا يجلبونها من شرقي البحر الأبيض المتوسط

[1] – محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 77 .

[2] – يولي بركوفيتش تسيركين ، الحضارة الفينيقية في إسبانيا ، ترجمة يوسف أبي الفاضل ،ط1،المطبعة العربية للنشر والتوزيع ،1988. ص 42 .

، هذه العملية التجارية ، قدم المؤرخ ديودور الصقلي صورة عنها وعن ثرواتها :"... تحتوي منطقة إيبيريا على كميات وافرة من مناجم الفضة ، لذا حل التجار الفينيقيون بالمنطقة لتبادل البضائع ..." [1] .

أما عن التاريخ الحقيقي لتأسيس المدينة فإن المصادر الكتابية والمادية لا تتفق على زمن التأسيس ، فبينما تقف المصادر عاجزة وفق الوضع الراهن للبحث الأثري عن إثبات وجود أي مستوطنة فينيقية في غربي المتوسط يسبق تأسيسها القرن الثامن ق.م ، نرى أن المصادر الكتابية تحاول إرجاع تاريخ تأسيس مستوطنة قادس مثل غيرها من المستوطنات الفينيقية الباكرة إلى حوالي القرن الثاني عشر ق.م ، وقد بنيت مدينة قادس على جزيرة محاذية للساحل وهي في ذلك شبيهة لمدينة صور في شرقي البحر الأبيض المتوسط ، كما أنها تتمتع بنظام المنائين المعمول به لدى الفينيقيين ، فقد أدى تأسيس قادس وراء أعمدة هيركوليس (وهما الرأسان الصخريان عند مضيق جبل طارق) إلى دخول الفينيقيين إلى المحيط الأطلسي وأسفر ذلك عن إكتشاف الأوقيانوس بالنسبة للعالم القديم ، ويعتبر هذا الإكتشاف من أعظم إكتشافات العصر القديم ليبين التقدم العالي الذي وصله الفينيقيون عصرئذ ، وقد عرف هوميروس عن وجود المحيط الأطلسي لأول مرة من الفينيقيين ومن الصعب معرفة مدى توغل الفينيقيين في هذا الإقيانوس المسمى ببحر الظلمات ، ولكن الرحلات المشهورة أكدت ذلك وصولهم إلى كورونوال في إنكلترا للبحث عن القصدير [2] .

جزر البليار : من المحتمل أن يكون التجار الفينيقيون قد نزلوا بجزر البليار خلال رحلاتهم الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ولكن إستيطانهم الحقيقي بجزيرة إبيزا يعود إلى حوالي سنة 654 ق.م أو كما يحدده بعض المؤرخين بحوالي 160 سنة بعد تأسيس مدينة قرطاجة التي آلت لها زعامة المستوطنات

[1] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 82.

[2] – محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 74 .

الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة ، ومن المرجح أن الهدف من تأسيس مستوطنة إيبيزا في جنوب البليار كان عسكريا بالدرجة الأولى [1] ، إذ أنها كانت تمثل قاعدة بحرية هامة للأسطول الفينيقي الذي كان ينطلق منها إلى الشواطئ النوميدية جنوبا الإيبيرية غربا .

سردينيا : ثبت من الدراسات الأثرية التي أجريت في جزيرة سردينيا بأن المستوطنات الفينيقية في هذه الجزيرة كانت قد إنتشرت في الركن الجنوبي منها ، وكانت أهم مدنها الفينيقية نورا التي بنيت على شبه الجزيرة ، وتتمتع بأهم ميناء في الجزيرة على الإطلاق وقد عثر المنقبون الأثريون في مدينة نورا على بقايا أثرية من بينها نصب تذكاري وجدت عليه كتابة فينيقية ثبت بعد فك رموزها بأنها تعود إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وهي بذلك تكون معاصرة لبناء مدينة قرطاجة ، بالإضافة إلى نورا هناك مدن فينيقية أخرى موزعة على الأطراف الجنوبية الغربية لجزيرة سردينيا **كسولكيس** التي تقع على طرف جزيرة **سان أنتيوخو** الحالية ،وكذلك **كاراليس** ، التي عثر فيها على قبور تعود إلى القرن الخامس ق .م .

ويرى بعض المؤرخين بأن نزول الفينيقيين في جزيرة سردينيا يعود إلى حوالي نهاية الألف الثاني ق.م وقد وقع ذلك عندما أرغمت زوابع بحرية التجار الفينيقيين على النزول في شواطئ جزيرة سردينيا الجنوبية الغربية غير أن هذا الرأي الأخير لا يتفق مع ما توصلت إليه الإكتشافات التاريخية ما يشير إلى التواجد الفينيقي في جنوب إيطاليا ، غير أن الفينيقيين كانوا قد ربطوا علاقتهم التجارية مع شعوب إيطاليا إبتداءا من القرن الثامن ق .م [2].

[1] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 86 .

[2] – نفسه ، ص 87 .

صقيلية : كانت جزيرة صقيلية في طليعة المواقع الإستراتجية التي لفت إنتباه الشعوب الشرقية ، فتدفق إليها التجار الفينيقيون والإغريق في هجرات متتالية ، واستقروا على كامل سواحلها الشرقية والغربية ، ثم دفعوا بالسكان المحليين إلى المناطق الداخلية يفلحون الأرض ويزرعونها .

ويعتقد بعض المؤرخين بأن غرض الفينيقيين من الإستيطان في جزيرة صقيلية كان إستراتجيا أكثر منه تجاريا ، لذلك ركزوا إستيطانهم في الناحية الغربية من جزيرة صقيلية التي تعزز جانب أوتيكا و قرطاجة في الطرف الآخر من بلاد المغرب وإيطاليا .

ومن بين المدن الفينيقية الهامة في جزيرة صقيلية مدينة موتيا التي بنيت على جزيرة في خليج محمي يقابل رأس بونة في بلاد المغرب وقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت على موقع موتيا حديثا بأن الفينيقيين كانوا قد حلوا بها منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، وقد عاشوا في أول الأمر مع السكان المحليين من الصقليين الذين وجدوهم ، هناك كما تدل هذه البقايا الأثرية خاصة الفخارية منها على أن الفينيقيين الذين أسسوا موتيا لم يكونوا قد قدموا إليها من مدينة قرطاجة ، بل يغلب على الظن بأنهم جاؤوا من شمال سوريا وذلك للتشابه بين فخار موتيا والفخار الذي أكتشف في مدينة الميناء القديمة (على مصب العاصي) التي سبق تأسيسها منتصف القرن الثامن ق.م [1].

ليكسوس : كانت مدينة ليكسوس من أبرز المستوطنات الفينيقية القديمة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي ، وتشير الكتابات التاريخية إلى تأسيس هذه المستوطنة يعود إلى نهاية القرن الثاني ق .م ، وقد تم تأسيسها على يد البحارة الفينيقيين الذين قدموا من شرقي المتوسط ، وهي بذلك معاصرة لمدينة قادس

[1] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 89.

وسابقة لمدينة أوتيكا وكان الغرض الذي أسست من أجله ليكسوس إستراتجيا وتجاريا ، ذلك لأنها كانت تعتبر مع قادس بمثابة المفاتيح على المحيط الأطلسي ، وقد إستعان بها القرطاجيون خلال رحلة حانون إلى إفريقيا الإستوائية في القرن الخامس ف.م ، فحصلوا منها على مترجمين الذين كانوا يساعدونهم في فهم لهجات سكان المناطق التي تقع إلى الجنوب منها ، وفد أنشأت المدينة على الضفة اليمنى لنهر ليكسوس الذي يصب في المحيط الأطلسي مكونا خليجا صالحا للملاحة [1].

أوتيكا : يذكر المؤرخ سترابون بأن التجار الفينيقيين الذين إجتازوا أعمدة هرقل كانوا قد أسسوا مدنا على الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة ، ويشير في مكان آخر إلى أن الفينيقيين كانوا قد وضعوا يدهم على أفضل الأماكن في شبه جزيرة إيبيريا وفي ليبيا قبل عصر هوميروس .

قرطاج :

يمثل تأسيس قرطاج حدثا مركزيا في مجرى التوسع الفينيقي في غرب المتوسط ، حيث بلغت قرطاج الذروة في السيادة التجارية والسياسية والعسكرية ، عندما أنشأت إمبراطورية واسعة امتدت من الساحل الفينيقي إلى مضيق جبل طارق وإسبانيا ، وأقامت الضفة الشمالية للبحر المتوسط [2]، كما طورت هذه المدينة مستقبل الفينيقيين بالمنطقة ، إعتبارا للمكانة الريادية التي إكتسبتها سياسيا وإقتصاديا وعسكريا تجاه بقية المراكز الفينيقية ، ثم تجاه القوى التي إرتبطت بها أو نافستها على إمتداد تاريخها ،إذ تطورت قرطاج إلى مدينة فدولة وعاصمة إستقطبت مصالح فينيقيي غرب المتوسط ، و تمكنوا من تأصيل الظاهرة الحضارية

[1] - محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 93 .

[2] - حلمي محروس إسماعيل ، المرجع السابق ،ص 159 .

البونية التي تمثل نتاجا لإضافتهم إلى مختلف شعوب محيطهم الجديد وتفاعلهم معها [1] ، حيث تكاد المصادر الكتابية تتفق على اعتبار سنة 814 ق.م تاريخيا رسمية لتأسيس مدينة قرطاجة من طرف المهاجرين الفينيقيين ، على إعتبار أن تأسيسها كان قد سبق الألعاب الأولمبية الأولى (776 ق.م) بحوالي 38 سنة ، وتأخر عن بناء أوتيكا 287 سنة [2] .

[1] – الشاذلي بورونية ، محمد طاهر ، قرطاج البونية تاريخ وحضارة ، مركز النشر الجامعي ، 1999 م، ص 87 .
[2] – محمد صغير غانم ، المرجع السابق ، ص 106 .

الفصل الثالث : الإمتداد الحضاري لفينيقيي الغرب ودور قرطاجة فيه

1- علاقة صور بنشأة قرطاجة
2- الصلات الحضارية بين صور و قرطاجة
3- التأثير الفينيقي في شبه الجزيرة الإيبيرية

1) علاقة صور بنشأة قرطاج :

لم يكن تأسيس قرطاج في أواخر القرن التاسع ق.م ، حدثا مستجدا حيث أن تأسيس المراكز الفينيقية المشار إليها في الفصل الثاني ترقى إلى أواخر القرن الثاني عشر ق.م ، فإن قرطاج خلافا لسابقتها إنفردت بأهم الأدوار التاريخية لذلك تبدوا في مظهر المركز الذي يختزل التاريخ البوني ، إذ يتضح أول تأكيد لهذه المكانة من خلال إفراد المصادر الإغريقية واللاتينية رواية متكاملة لتأسيس لقرطاج وعلاقة صور في ذلك ، فهي رواية تتجاوز في صيغتها التاريخية والأدبية والإشارات المحدودة لتأسيس بقية المستوطنات الفينيقية مثل قادس وأوتيكا وتبدو أقرب إلى روايات تأسيس المدن والدول الإغريقية أو رواية تأسيس روما ، حيث أثارت رواية تأسيس قرطاج تساؤلات عديدة وكانت منطلقا لقراءات مختلفة ، فقد وردت لدى المؤرخين الإغريق واللاتينيين متأثرة بعناصر روايات تأسيس المدن المميزة للذهنية الإغريقية ، ثم أضفت عليها المصادر اللاتينية التاريخية والشعرية الملحمية إسقاطات وإستعارات متأثرة بتبعات الصراع القرطاجي الروماني ، ولمجمل هذه الإعتبارات فإن قراءة مختلف أوجه الروايات لابد أن تنفذ إلى العناصر اللغوية والرمزية .

أضف إلى ذلك التساؤل الذي أثاره تأسيس قرطاج ، الروايات المشار إليها والتي تبحث في عناصر تفسيرية إضافية إعتمادا على خصائص الإطار التاريخي والظرفية التي سادت بفينيقيا وشرق المتوسط خلال القرن التاسع قبل الميلاد و هي ظرفية أدت إلى تأسيس قرطاج كمستوطنة ذات نوع خاص من حيث موقعها والدور الموكل إليها ، ومن أبعاد ذلك البحث في فرضية التأسيس المعد له في صور والمبرمج في أعلى مستوى على عكس ما تنص عليه بعض الروايات من طابع عرضي ، وفضلا عن تحليل الروايات والإطار التاريخي

لنشأة قرطاج فقد مثلت المقاربة الأثرية رافدا أساسيا في بلورة تصور متكامل للمسألة ، إذ مكنت عمليات سبر ودراسة الأحياء العتيقة للمدينة من الملائمة بين تاريخ أقدم اللقى الأثرية والروايات التي ترجع تأسيس قرطاج إلى أواخر القرن التاسع ق.م (814ق.م) فاستبعدت بذلك الروايات التي تقترح تاريخا متقدما يعود إلى أواخر الألف الثانية بقدر ما استعبدت النزعات النقدية المعاصرة التي أرجعت تاريخ التأسيس إلى أواسط القرن السابع ق.م .

يمكن دراسة تأسيس قرطاج إعتمادا على المحاور المعلنة أي المصادر الأدبية التي قدمت رواية متكاملة لنشأة المدينة أو المدينة الحديثة (قرت حدشت) وعلاقة فينيقيا وصور بالتحديد ، ثم البحث في عناصر التفسير الإضافية من خلال الإطار التاريخي في الشرق الفينيقي وغربه و إستنتاجات البحث الأثري في موقع قرطاج ،وهذا دليل أن صور هي المدينة الأم لقرطاج ، إذ أجمع الباحثون أن القاسم المشترك ، بين روايات تأسيس قرطاج في طابعها المتأخر هو تأريخ نشأة المدينة المتفق عليه أي سنة 814 ق.م ، فأقدم المصادر مؤرخة بالقرنين الرابع والثالث ق.م ، وتواصل تواترها في الكتابات الإغريقية واللاتينية بعد سقوط قرطاج سنة 146 ق.م ، فتواتر معطيات رواية التأسيس يفرض بالضرورة بعض الإختلافات بينها ، سبب الإضافات وأحيانا أخطاء النسخ ، ومن أوجه الإختلاف أساس التأريخ المعتمد ، وهو ما جعل بعض المؤرخين إلى إعتباره مقياسا لتصنيف المصادر ، لذا تعددت أرائهم والتي إعتمدت بالدرجة الأولى تاريخا ثابتا وهو سقوط

قرطاج في ربيع 146 ق.م ، أو حرب طروادة [1]، وتحدد وفقا لذلك المدة التي عاشتها المدينة ، ونجد فيلستوس السرقوسي من رواد هذا الطرح، وهو إغريقي الأصل عاش في القرن الرابع ق.م أرخ تأسيس

[1] – اختلف المؤرخون حول حقيقة حرب طروادة، فبعضهم يعتقد بأنها تُحرِّفُ وتبالغ في النزاعات الصغيرة التي شارك فيها الإغريق من حوالي عام 1500 إلى عام 1200ق.م ويعتقد الآخرون بأن الأسطورة مبنية على حرب واحدة كبيرة يعتقد الكثيرون بأنها وقعت أثناء منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتتضمن ملحمة هوميروس المادة التاريخية ونتيجة لذلك لايمكن الاعتماد على مثل هذه الأعمال بوصفها وثائق تاريخية، ولكن علماء الآثار استطاعوا اكتشاف بعض الدلائل التاريخية، في حطام مدينة طروادة .

قرطاجة قبيل حرب طروادة من لدن شخصين أزرس وكركيدون ، وقد إتبعه في ذلك أودقسوس وأبيانوس [1] ، ويوافقه الرأي تبتيوس لويوس الذي يفترض أن المدة التي عاشتها قرطاج هي 700 سنة ويرجع ضمنيا تأسيسها إلى 846 ق.م ، أي ما يوافق حرب طروادة ، أما وليوس باتركولوس فيقترح 667 سنة للمدة التي شغلها تاريخ قرطاج مما يجعل تأسيسها في حدود 813 ق.م [2].

ونجد رواية أخرى والتي إنبثقت من حدث إنطلاق الأولمبياد وأستند فيه المؤرخون إلى تيمايوس وهو مؤرخ إغريقي من القرن الرابع ق.م ، الذي أورد أن قرطاجة وروما أسستا في السنة الثامنة والثلاثين قبل الأولمبياد الأولى ، وقد أعتمد معظم المؤرخين على هذا التقدير في تواريخهم لإحداث العاصمة البونية ، سواءًا أشاروا إلى الفرق الزمني الذي يفصل بين سنتي تأسيس قرطاجة وروما أو أوردوا الفترة الزمنية التي عاشتها قرطاجة ، وقد إعتمد تيمايوس على تاريخ الألعاب الأولمبية الأولى 776 ق.م ، من خلال النص التاريخي عن دونيس أصيل هاليكارناس في مؤلفه "التاريخ الروماني" الذي يؤرخ تأسيس قرطاج بالسنة 38 قبل الألعاب الأولمبية وهو ما يوافق سنة 814 ق.م .[3]

ومن أهم المصادر المعتمد عليها في رواية تأسيس قرطاج روايات **أفليوس يوسيفوس** وهو مؤرخ يهودي عاش في القرن الأول م ، أعتقد أن قرطاجة أنشئت في العام السابع لحكم بغماليون ملك **صور** ، وقد أستقى معلوماته من الكاتب الهلنستي لميناندروس الأفيوسي الذي قد يكون أطلع على الحوليات الملكية

[1] – أحمد فرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، 1993، ص 11.

[2] – الشاذلي بورونية ، المرجع السابق ، ص 91.

[3] – نفسه ، ص 91.

لمدينة صور[1] ، ففي نصوص المؤرخ يوسيفوس ، ألفها كما ذكرنا آنفا بالإستناد إلى ميناندروس الأفيوسي ، الذي إستند على وثائق ملوك من مدينة صور ، سجل فيها تسلسل ملوك المدينة الذين حكموا لمدة قرن ونصف من الزمن ، ثم أعطى معلومات إضافية حول بعض الأحداث التي حدثت في عهودهم ، وقد أشار يوسيفوس إلى أن بغماليون كان قد عاش 56 سنة تولى الحكم خلالها لمدة 47 عاما ، وفي السنة السابعة من حكمه فرت أخته أليسا إلى ليبيا حيث أسست هناك مدينة قرطاجة كما جاء قي الأسطورة ، وبالإستناد إلى قائمة حكم ملوك مدينة صور نفسها يشير المؤرخ يوسيفوس إلى أن هذا الحدث (أي فرار إليسا) تم بعد مئة وخمسة وخمسين سنة وثمانية أشهر من إستلام أحيرام حكم صور وكان هذا الأخير حليفا للملكين داود وسليمان [2].

محتوى أسطورة **إليسا** وبناء مدينة قرطاجة : " تذكر الأسطورة بأنه بعد وفاة الملك ماتان بقي الحكم لأبنيه أليسا وبغماليون ، وكانت أليسا على غاية كبيرة من الجمال فتزوج بها خالها عاشر باس الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارت الذي كان موفور الثروة وقد خشي عاشر باص على ثروته من اللصوص فدفنها تحت جدران المعبد وعندما بلغ نبأ الكنز المدفون بغماليون الذي كان هو الأخر شغوفا بالمال اعتقد بان الحيطة إنما إتخذت من أجله ، فقتل زوج أخته بغية الحصول على ماله ، غير أن إليسا عرفت كيف تحتال على أخيها بتظاهرها أمامه بعدم الإكتراث بالحادثة التي كانت تقطع قلبها خفية ، وعندما آمنت شر أخيها حملت أموال زوجها وأبحرت بها صاحبة مؤيديها إلى قبرص حيث إنضم إليها كاهن جونو بعد أن ضمن

[1] - أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 11.

[2] - محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص 107 .

لنفسه ولأسرته من بعده الإشراف الديني في المدينة الجديدة ، كما حملت إليسا معها من قبرص ثمانين فتاة من فتيات المعبد ليكن أزواجا للشباب الذين كانوا معها ، أبحرت بعد ذلك إلى بلاد المغرب فنزلت بالقرب من مدينة أوتيكا ، وقد رحب بها سكان المنطقة من المغاربة الذين ابتاعت منهم قطعة أرض مقدار جلد ثور قطعت الجلد إلى أشرطة صغيرة أحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينتها الجديدة [1] ، (قرط حدشت) .

ومن الثابت أن لموقع قرطاج من المميزات ما يجعله أفضل من موقع أوتيكا ، فالخليج محمي من الرياح الشمالية والغربية والسهل الرملي مناسب للإرساء و به بحيرتان شاطئيتان مناسبتان لتجهيز موانئ ، إذ يمتد الموقع بشكل متواز مع الشاطئ الصخري الذي يتجه طرفه من رأس قرطاجة نحو الشرق عند قرية سيدي بوسعيد الحالية وتحيط به مساحات رملية من الشمال والجنوب الغربي تقابل السفوح القليلة الإرتفاع والخفيفة الإنحدار، وليست ببعيدة عن الشاطئ ، وهي تطل بدورها على الخليج الذي وطأه الفينيقيون أول الأمر ، والذي تحيط به رؤوس ممتدة داخل البحر عند رأس آذار ورأس الجبل [2] ، أما على المستوى القاري فإن شكل البرزخ له من المواصفات الطبيعية ما يخفف عناء حمايته بفضل الحاجز الطبيعي للبحيرة ولسبخة أريانة حاليا ، أما المائدة المائية فهي محدودة وذات ماء عذب فضلا عن إنسياب عين الماء في السفح الشمالي [3] ، هذا ما يمنحها موقعا إستراتيجيا حيث بنيت على شبه جزيرة محاطة من جهة وببحيرتي تونس وإريانة من الجهتين الأخريين ، أما من الخلف فإنها محمية بمرتفع بيرصة الذي بني في قمته معبد الإله أشمون

1 - محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص 107.

[2] - عاطف عيد ، قصة وتاريخ الحضارات العربية (تونس والجزائر) ، منشورات كرييس الدولية ،بيروت –لبنان ، 1998-1999، ص 19 .

[3] - الشاذلي بورونية ، المرجع السابق ، ص 103 .

ولا تتصل قرطاجة باليابسة إلا عن طريق برزخ يبلغ طوله حوالي أربعة كيلومترات ونصف ، وقد وصف المؤرخ أبيان مدينة قرطاجة بأنها تشبه السفينة الراسية [1] ،(**أنظر الملحق رقم 12 ص 116**).

هذه الخصائص المتعددة تلائمت مع الأهداف البعيدة التي أراد الفينيقيون بلوغها من وراء تأسيس هذه المستعمرة التي ستلعب دورا تجاريا هاما في أول الأمر ومن ثم ستتحول إلى قوة حربية فيما بعد حيث أن قرطاجة كانت تقع إلى جنوب حصن "بيرصا" قرب لوكرام حيث أن هذا المكان يحميه موقعه من الرياح كما أن بعض الكشوفات الأثرية تؤيد ذلك ، ولابد أن المستوطنين الأوائل حرصوا على أن يكون التل القائم بالمنطقة مشرفا على البقعة التي إختاروها لإستيطانهم لأنه يوفر الحماية لهم ولسفنهم عند رسوها ، ومن إسم مدينة قرطاجة أي المدينة الجديدة أو العاصمة الجديدة يمكن أن نستنتج أن الفينيقيين أرادوا أن ينشروا نشاطهم في الغرب وهو الذي كان قد بدأ فعلا من قبل وامتد على أبعد من منطقة قرطاجة ، وسرعان ما وصلت قرطاجة إلى السيادة على كل المستوطنات الفينيقية وكان ذلك بالتأكيد بعد تأسيسها (813 -814) بوقت كاف [2]، وهو ما يبين أن تأسيس المدينة لن يأت صدفة بل جاء بعد دراسة للموقع وإقامة هذا الموقع .

وما يلاحظ من خلال أسطورة بناء مدينة قرطاجة أن هناك إضطرابات سياسية داخل البيت المالك في مدينة صور نتج عن إنسحاب الحزب المهزوم إلى المناطق النائية ، ليبدأ حياة جديدة ، وهو ما يؤيد الأصل الصوري لقرطاج ، خلافا لما تذكره بعض المصادر عن إرسال قرطاجة سنويا لسفراء و مبعوثين إلى صور

[1] - محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص 107 .
[2] - محمد أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص 66 .

وكان هؤلاء يحملون سنويا قربانا لمعبود مدينة صور "ملقارت"[1] ، ويقيمون إحتفالا بتقديم الذبيحة إليه على مر القرون عملا بالعادة القومية ، وهو ما يبين الوحدة الدينية بين صور و قرطاج وغيرها من المستوطنات ويشهد على تواصل العلاقات بين الشرق الفينيقي وغربه وعلى حرصهما على الحفاظ على معتقد الأسلاف.

زد على ذلك كان القرطاجيون في بداية عهدهم يرسلون لصور حسب رواية ديودور الصقلي عُشر الدخل العام ، وحفظوا من نسبة هذه القيمة فيما بعد ، فمن الممكن إعتبار تلك القرابين نوعا من الجزية ، ويرجح أن ملك صور كان يتمتع بالعُشر الذي أرسلته قرطاجة في بداية عهدها ، ذلك لأنه يمثل السلطة السياسية وكذلك السلطة الدينية في بعض الأحيان ، ويعتبر العُشر حقا من حقوق الملك في الساحل الفينيقي ولا تجبى هذه الضريبة إلا من الرعايا ، كما لا تفرض على الدول الخاضعة أو التابعة .

وإن كانت كلمة "قربان" غامضة عند ديودور الصقلي ، فإنه يمكن أن نستنتج على الأقل أن هدايا قيمة قد أرسلت ، ونعلم بفضل **بوليب** إهداء بواكير الموسم وهي ممارسة مألوفة لدى الساميين القدامى ، لذا يتضح من خلال هاته الشهادة أن قرطاجة كانت دوما وفية لآلهة مدينتها الأم ، وذلك حتى آخر عهد من تاريخها ، وظلت العلاقات الدينية مستمرة بينهما [2] ، ومحافظة كل طرف على انفتاحه وتعاونه مع الطرف

[1] – محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية ، ص 279 .

[2] – أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 50 .

الأخر ذلك أن صور لم تنس أنها الأساس أو الجذع الذي نبتت منه قرطاجة ، ولا قرطاجة تنكرت لفضل صور عليها لكونها أحد منجزات الشعب الصوري [1] .

وإذا ما إعتبرنا أن الملك هو المتمتع بالعُشر يمكن البحث عن تفسير لهذه الظاهرة في تطور العلاقات بين قرطاجة ومدينتها الأم ، إذ إعتبر القرطاجيون أنفسهم رعايا مَلك صور بإرسالهم هاته القرابين ، فلهم نفس حقوق الصوريين وعليهم نفس الواجبات ، لذا يرجح أن قرطاجة لم تكن مملكة مستقلة عن صور ، ومع أن العلاقة بين هاتين المدينتين بين منتصف القرن السادس ونهاية القرن الرابع قد تغيرت بتغير موازين القوى حيث لم تعد ترسل قرطاجة إلا القليل ، ومع ذلك فإن القرطاجيين كانوا يتذكرون إله صور ويعودون إلى تمجيده ويزيدون من القرابين التي يقدمونها له ، كما دعمت العاصمة البونية حضورها في الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ منتصف القرن السادس ق.م ، على الأقل حامية مصالح كل الفينيقيين عسكريا ودبلوماسيا ولقد أفرز هذا الحضور في العديد من المناطق كمالطة وصقلية ميزات ثقافية قرطاجية ، لم يتم العثور عليها بعد في فينيقيا أما في الحوض الشرقي لهذا البحر فقد بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية لصور نتيجة ما تتالى من غزو للإمبراطوريات الآشورية والبابلية والفارسية ، فقد كان مُلوك صور يدفعون الضرائب إلى أعدائهم .

[1] – عاطف عيد ، المرجع السابق، ص 19 .

2) الصلات الحضارية بين صور و قرطاجة :

لا يختلف إثنان على العلاقة الوطيدة بين قرطاجة ومدينتها الأم (صور) ، فالدارس للتاريخ يجد أن المستوطنة التي أنشأها الصوريون مثال حي لتناقض تاريخي مزدوج ، بقدر ما يعرف التاريخ من متناقضات ففي الحين الذي نرى فيه المستعمرة الناشئة يشتد منها الساعد ، نرى المدينة الأم (صور) تنحط وتهوي ، ومن جهة أخرى ، في الوقت الذي نجد صور تتوارى وتتأغرق بعد أن عاث بها قوى الجوار خرابا ونهبا واستهانة ، نرى قرطاجة تحافظ بغيرة متقدة على الطابع الفينيقي لحضارتها [1]، وترفض بشمم وإباء ، أن يتسرب إليها شيء من العوامل الخارجية التي طغت عصرئذ كالعوامل الهلينية مثلا،على قدر كبير من تراثها وأصالتها .

فبعد أن إنتقل بعض الفينيقيين إلى الغرب نقلوا معهم ما اكتسبوه من خبرة وتجربة في الحياة وعملوا على ازدهارها حسب ظروف البيئة الجديدة ، ففي شمال إفريقيا وهي أكثر المناطق الغربية معرفة لنا نجد أحفاد الصوريين يستفيدون كثيرا ويفيدون في حياتهم اليومية ، إذ ظهرت المواهب الكنعانية الموروثة من جديد ، كتطور الصناعة و الزراعة والتجارة والمحافظة على المعتقدات الشرقية وحتى اللباس والأزياء وجدا نصيبا من هذا الإهتمام ، وهو ما يسميه المؤرخون بالتقدم العظيم الذي أثاره القرطاجيون سابقا ، وترجم واستفاد منه خبراء الرومان لاحقا ، وهذا شاهد على تواصل العلاقات بين الشرق الفينيقي وغربه ، زد على ذلك لم تعرف قرطاجة يوما حضارة استبدت جودتها بالإذهان ، فقد استطاعت أن تؤمن لنفسها قاعدة حضارية في جميع مناحي الحياة تأسيا بأجدادهم بالساحل الفينيقي وهو ما كانت في حاجة ماسة إليه ، نظرا

---

[1] – أندريه إيمار وآخرون ،تاريخ الحضارات العام (روما وامبراطوريتها) ، تر ،فريد م داغر وفؤاد ج . أبو ريحان ، المجلد الثاني ،منشورات عويدات ، بيروت باريس، ط 2 ، 1986 ، ص 39 .

للظروف الراهنة التي سادت في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وما نجده من آثار و نقائش و معاهدات تجارية دولية خير دليل على ذلك ، فالمقياس الحضاري لدى الباحثين يتناول مدى القوة الإقتصادية لهذه الدول ومدى تأثرها و تأثيرها على المستوى المحلي والدولي ، فمثلا نجد صناعات مدينة قرطاجة متأثرة إلى حد كبير بصناعات مدن الساحل الفينيقي فنجد صباغ الأرجوان ، وصناعة السفن ، والنحاس والقصدير وغير ذلك من المعادن الثمينة والحجارة الكريمة وخشب الأرز وخلاف ذلك ، وهي مواد وخامات يبدُ لنا أن صناع قرطاجة تمكنوا من استنباط طراز فني معين ندر قبل ميلاد هذه المدينة الجديدة وذاع صيته بالشرق ، وهو ذات الذوق الرفيع الذي إتسم به المجتمع الفينيقي المستمد من أذواق الأثرياء من الصُناعين والمزارعين والتجار خاصة ، فالكماليات الغالية الثمن أثارت رغبة الطبقة الارستقراطية المحلية في قرطاجة ، وعن المستوى الفني للمهارات الصناعية والزراعية والتجارية فقد نبغت قرطاجة في هذا المضمار وتبعتها المدن الفينيقية في شرقي البحر المتوسط [1] ، بالرغم من المنافسة الشديدة التي تعرضت لها هذه المدن ، إلا أنها حافظت على هذا الموروث الحضاري للأجيال فيما بعد .

أ) **الزراعة :**

قام الفينيقيون ولأول مرة بعد نقلهم الزراعة إلى الغرب بتنظيم الأراضي الضرورية للإستفادة مما ورثووه عن أجدادهم أهل المدن الكنعانية في مجال الزراعة ، بالإضافة إلى عقليتهم المنفتحة وروح المغامرة التي كانت عندهم ، قاموا بإستصلاح الأراضي من السهوب الشرقية في الشرق من رأس بونا حتى سيرتا ، إذ إصطف الزيتون على مد النظر معربشا التلال ، نازلا المنحدرات حتى أبعد الأفق وفي الجنوب والواحات التي

[1] – أندريه إيمار وآخرون، المرجع السابق ، ص 54 .

تحرسها البحيرة الناشفة ، وانتشرت في قرطاجة البساتين الخضراء ، كما قنت المياه وقسمتها وقاستها ، وحسنت الإنتاج وأصلت الأنواع ، وأنتجت الثمار ، ودجنت الرمان وأشجار آسيا ، وبجانب الينابيع الطبيعية نفذ القرطاجي تقنية مثيرة ، فقد سبر الأرض والأغوار ، وعمق مجرى الينابيع ، وإستنبط الآبار من الطبقات السفلى [1] ، كما نجحوا بطريقة مثلى في إنماء الزراعة والإنتاج الزراعي على الأرض الإفريقية ، ولكن هذا النجاح ليس بالغريب فالواقع أن الصوريين والصيداويين كانوا مضطرين لتأمين أسباب تطورهم وذلك نظرا لمتاخمتهم للسلسة الجبلية ومناوشات جيرانهم المختلفين المستمرة معهم [2]، وإن كان فمن الجدير بنا معرفة أن القرطاجيين سبقوا أجدادهم فينيقيي الشرق في هذا المجال ، إذ حازوا على شهرة كبيرة ، وذلك بإستخدام لأول مرة أسلوب الإستثمار المكثف للأرض وعنايتهم الممتازة بالزيتون والكروم ويرجع إليهم الفضل في إزدهار الزراعة بتلك المنطقة من الشمال الإفريقي التي أثارت أطماع الرومان حتى صاروا يعتبرونها مخزنا حقيقيا للغلال.

أ–1) صيد السمك :

ما إن لبث أول المستوطنين الصوريين سواحل تونس أن اكتشفوا الصدف المدعو بالموركس واستعملوا قسما منه في صبغ الارجوان التي عرفت رواجا كبيرا في القديم ، واستغل الصوريون والصيدويون مواضع صيد الموركس ومارسوا تصنيعه التي امتدت على الساحل الفينيقي .

[1] – شوقي خير الله ، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب ، مركز الدراسات العلمية ، ط 1 ، 1992 ، ص 94 .

[2] – جان مازيل ، المرجع السابق ، ص 165 .

ب) الصناعة :

تبرز الشواهد الفنية الفينيقية التي يتضمنها الفن القرطاجي أن قرطاجة بقيت طوال وجودها على اتصال بوطنها الأم ، ولم تنحصر هذه التأثيرات في عناصر بسيطة سهلة المحاكاة ، كالرموز والزخارف ، بل لتشمل الصناعة و الجزئيات التقنية وأسلوب التصور الفني فبقيت الأعمال الفنية القرطاجية شبيهة بمثيلاتها الفينيقية بالرغم من أنها كانت تحتوي على خصوصيات وابتكارات تعطيها ميزة خاصة ، فمثلا نجد صناعة الأصباغ فقد كانت شائعة في جميع المواطن التي استقر فيها الفينيقيون ، ومن أشهرها بطبيعة الحال صور وصيدا ، ويبدوا أن الفينيقيين قد احتكروا هذه الصناعة ، وقد عثر على كميات من هذه الأصداف في بعض المواقع الأثرية التي تم التنقيب فيها حديثا مثل رأس شمرا على الساحل السوري ، وكذلك في مواقع أخرى في ساحل شمال إفريقيا مما يثبت قيام هذه الصناعة في المستعمرات الفينيقية أيضا [1].

ب -1)**الجرار** : توجد الجرار البونية ذات النمط الشرقي المستخرجة من الطبقة الأولى لمعبد بعل حمون وتانيت ، والتي مازالت مجهولة الأصل الشرقي ، فهناك أنواع أخرى من الجرار عثر عليها سواءا في قرطاجة ، أو في عدة مستوطنات فينيقية أو بونية في غرب المتوسط نفس خصوصيات الجرار الشرقية ، إذ كان يعود قسم من هذه الأخيرة إلى فترة زمنية أقدم من عهد الجرار الغربية ، فقد إندثر النوعان في نفس العهد تقريبا ، مما يدل على أن صناعة الأواني القرطاجية تمت إثر التبادل التجاري بين المنطقتين .

ب -2) **القوارير المستطيلة** : هي قوارير ذات طلاء أحمر فاتح ، وشكل ومستطيل ذي مقاطع ، ينتهي بحافة بارزة وجدت في قرطاجة وصقلية و في الساحل الفينيقي خاصة بصيدا (أنظر الملحق رقم **13** ص **117**).

[1] – محمد أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص 115 .

ب -3) **التماثيل المصنوعة بالدولاب** : يتجلى من خلال الدراسات الأثرية التي خصصت للتماثيل المصنوعة بالدولاب في العالم البوني وجود ثلاثة أنواع ، يعكس أحدهما إتصالات بين قرطاجة وعالمها الشرقي ويتكون هذا النوع الذي يعود إلى ما بين منتصف القرن السابع ومنتصف القرن الخامس من جسم جرسي الشكل متسع في الأسفل ، ورأس أسطواني ذي قمة مخروطية أو مدورة ، وبتقاسيم حادة في الوجه ، ولقد عثر على أمثلة بمعد بعل حمون وتانيت بقرطاجة ، يمكننا الإقرار — إذن- بأن هذه الأنواع قد وصلا قرطاجة في عهد ازدهرت فيه صناعة هذه المنتجات في جزيرة قبرص ، ويبرز هذا المجال كما في غيره من المجالات التي رأينا تواصل الروابط بين صور وقرطاجة ، فقد كان القرطاجيون يواكبون تطور الفنون الشرقية ، فيضيفون ويبدعون الجديد في صناعتهم .

ب -4) **التمائم الزجاجية** : من خلال الدراسة المخصصة لهذه التمائم في البلدان المتاخمة للبحر المتوسط ، يتجلى التشابه الكبير بين منتجات قرطاجة والساحل الفينيقي فلكل أنواع التمائم البونية نظيراتها في فينيقيا ، وقد صنعت في نفس العهد أو قبيل ذلك بقليل :

ب -5) **التمائم على شكل رأس شيطان** : يحتوي هذا الإنتاج على عدة أنواع ، منها ذلك الذي يتمثل في رأس صغير ولحية وعينين واسعتين وأذنين في شكل مروحتين ، تعلو قمة الرأس جلجلة ،والحاجبان بارزان ، وقد انتشر هذا النوع في الساحل الفينيقي .

ب -6) **رؤوس الأكباش** : يحتوي هذا القسم على رؤوس كبيرة ذات وجوه صغيرة أو كبيرة وظهرت النماذج الأولى على الساحل الفينيقي وفي قبرص في القرن السادس ق.م ، وقد ظهرت النماذج القديمة لهذه التمائم الزجاجية تقريبا في نفس الفترة سواءا في فينيقيا أو في جزيرة قبرص أو في قرطاجة ويكثر عددها في المنطقة

الشرقية للبحر المتوسط مما يدل على تحولها إلى العاصمة البونية ، أما النماذج الحديثة فقد وقع اكتشاف معظمها في هذه المدينة .

ب -7) **الحلي** : كان القرطاجيون يصنعون الحلي منذ البداية ، ولم يقع إستيراد القطع القديمة من الشرق كما زعم بعض المؤرخين ، ولكن يحتوي حلي هذه المدينة على أنواع تشبه كليا مثيلاتها الشرقية ، وخاصة تلك عثر عليها في المستوطنات الفينيقية القبرصية ، سواءا في الشكل ، أو في أساليب الصنع ،أو في الرسوم المنقوشة عليها .

ب -8) **اللباس** :

كان اللباس الإعتيادي عند القرطاجيين شرقيا صوريا ، يشبه الجلباب والصدرية (أو السترة) والأرجح أنه كان شديد الشبه بالقفطان الحالي ، ويبدوا أن القرطاجيين لم يكونوا مهتمين بمظهر الجمال الجسدي كما كان في اليونان [1] ، فأفضل الوثائق التي نملكها عن لباس الفينيقين من الرسوم التي عثر عليها في القبور المصرية ، الرجال النحفاء والعصبيون يرتدون ثوبا طويلا فاقع الألوان مزينا بخطوط من التطريز ، وفي قرطاج تلبس هذه الثياب التي تنزل حتى الأقدام فضفاضية أو تربط عند الخصر مطرز وتبدو أكمامها واسعة وقصيرة[2].

ج) **التجارة** :

لعبت الحركة التجارية في اقتصاد قرطاجة دورا بارزا في إزدهار هذه المدينة كما تؤيد ذلك المصادر التي خلفتها لنا تلك العصور القديمة ، فقد كان سلطان الملك في المدن الفينيقية يحد منه مجلس الشيوخ ، وهو في

[1] – أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 169 .

[2] – مادلين هورس ميادين ، المرجع السابق ، ص 93 .

واقع الأمر تطور لمجلس القبيلة ، ولكنه في ذات المدن يتألف من أكثر التجار ثراءًا ، وهذا النظام ذاته أي سيادة طبقة من الأغنياء وجد أيضا في قرطاجة ولعله ظاهرة طبيعية في دولة تعتمد في مواردها الرئيسية على التجارة ، فالطابع التجاري غالب على جميع مظاهر الحياة في المدن الفينيقية سواءًا في الشرق أو في الغرب ولقد ألقت نصوص رأس شمرا ضوءا جديدا على هذه الناحية حيث أشارت إلى وجود وكالات للأقمشة المصبوغة باللون القرمزي وذكرت أصناف الحرف المختلفة الموجودة بالمدينة ، ولكل من هذه رؤساء يديرون أمورها ويشرفون عليها ويسمى الواحد منهم "رب الحرفة" أو رئيس محترفيها .

لقد أورد تيتوس ليفيوس شهادات تخص التبادل التجاري بين صور و قرطاجة ، فكتب حول فرار إلى الشرق وعبوره بجزر قرنقة أين أرست سفن تجارية كثيرة محملة بالسلع ، وعندما حل (حنبعل) سارع التجار لتحيته وألحوا عليه بالسؤال ، فأجاب أنه موفد في بعثة إلى صور ، وعندما بلغ هذا القائد صور "استقبل في وطنه الثاني" ولتنفيذ مخططه ضد روما أوفد حنبعل تاجرا ، أصيل صور، من أنطاكيا إلى قرطاجة حتى يتأكد من استعداد أبناء قومه [1].

زد على ذلك فقد كان لقرطاجة وصور نفس المصالح في غرب المتوسط ، حسب بنود المعاهدة الثانية بين العاصمة البونية وروما التي أبرمت سنة 348 ق.م ، يحجر على الرومان القرصنة وتأسيس المدن على امتداد الساحل الإفريقي إلى حد إسبانيا ، والمتاجرة في سردينيا وإفريقيا عدا قرطاجة ، وعلاوة عن هذا ، تثبت هذه المعاهدة إستقلال قرطاجة عن الحكم المركزي في صور وسيطرتها على مجمل المستوطنات

[1] – أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 55.

الفينيقية [1]،بهذه المنطقة باستثناء أوتيكا المتمتعة آنذاك بمكانة خاصة في الإمبراطورية القرطاجية ، فليس بالإمكان لهذه المدن استقبال التجار الرومان ، ولا إستيراد ولا التصدير إلا بواسطة تجارها ، أو تجار قرطاجة وصور التي لم يبق لها سوى المتاجرة في منطقة تخضع لرقابة البحرية القرطاجية .

كما نستنتج من المعاهدة إنعدام التناقض بين سيطرة قرطاجة على المنطقة الغربية للبحر المتوسط وتواصل علاقتها بصور فلم تحقق قرطاجة توسعها على حساب مدينتها الأم التي ضعفت ، نتيجة حملات قوى الجوار(الآشورية والبابلية والفارسية) فقد استمر التجار الصوريون في نشاطهم بغرب البحر المتوسط ، إذ كان التوسع القرطاجي متكاملا ومتمما للتوسع الصوري ، فإنه أيضا متماش مع الوضع السياسي و الإقتصادي لهذه المنطقة ، والذي كان يتميز بالتنافس التجاري والسيطرة على البحر بين الإغريق والرومان و القرطاجيين[2].

ج -1) العملة :

افترض بعض المؤرخين أن قرطاجة قررت ضرب عملة ذات قاعدة فينيقية في نهاية القرن الرابع تماشيا مع قرار الملك بطليموس الأول الذي تخلى عن القاعدة الأثينية وتبنى القاعدة الفينيقية ليضمن وحدة إقتصادية لإمبراطوريته البحرية التي تضم مصر وقبرص وسورية ، وقد تكون قرطاجة سارت في ذلك الإتجاه لأهمية علاقتها بالشرق الفينيقي .

[1] - لقد حدد بعض المؤرخين استقلال قرطاجة في السلطة السياسية عن صور إبتداءا من منتصف القرن السادس معتمدين في ذلك خاصة على نص سوستينوس الذي أورد أن الحروب التي قام بها القرطاجيون في صقلية وسردينيا ولكنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار كل معاني الشهادة التي تخبر بإرسال عشر لغنيمة إلى صور ، وما هذه الضريبة إلا دليل على تبعية قرطاجة إلى مدينتها الأم ، فنص هيرودوت الذي خلد مطمح الملك الفارسي قامبوس لاحتلال قرطاجة سنة 525 ق.م ، يدل على استقلال هذه المدينة ، إذ أن الفينيقيين رفضوا الاستجابة لبرنامج هذا الملك ، ولم يعترفوا إلا بالروابط الدموية وبالقّسم مع القرطاجيين .

[2] - أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 71 .

وهناك بعض الدلائل تؤكد على أن قرطاجة ضربت العملة قبل عهد بطليموس ،واعتمدت فيها القاعدة الفينيقية ، ولم تدخل قرطاجة القاعدة الأثينية والبطليموسية إلا بعد ذلك العهد ، ويمكن تفسير تبني قرطاجة للقاعدة بالوحدة التجارية للعالم الفينيقي ، إذ كانت قرطاجة تدافع عن مصالح الفينيقيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، أما في الشرق فقد كانت لكل الدويلات الفينيقية نفس القاعدة النقدية قبل احتلالها من قبل الاسكندر ، ولكن رسمت عليها رموز مختلفة بينما كانت لكل الدويلات الإغريقية فواعد نقدية مختلفة .

ويمكن أن نقف على العلاقات بين فينيقيا وقرطاجة من خلال مجموعة النقود التي ضربت بين سنتي 305 و 295 ق.م (رأس ملقرت / رأس حصان) وهي تنقسم إلى قسمين ، القسم الأول مستوحى من عملة الإسكندر ، ولكنه صنع حسب نموذج النقود التي استعملت في طرطوس وصيدا ، ويحمل هذا القسم الثاني تأثيرات النقود الأولى للإسكندر في مقدونيا ، والتي قلدت في الشرق مع إدخال بعض الجزئيات المتآتية من مدينة بابل .

د) الهندسة المعمارية :

يبدو أن طريقة البناء عند القرطاجيين لا تختلف عما هي عند الفينيقيين الذين عرفوا بهندستهم المعمارية وببعض مبانيهم الشهيرة ، حيث كانت طرق البناء لدى القرطاجيين حسب غرض البناية ، فالأسوار والجدران الساندة وأرصفة وكل الأبنية المعرضة للهجمات ، كانت قوية أو ذات أثقال كبيرة تتكون من حجارة ضخمة مربعة الزوايا رصفت فوق بعضها البعض ، وقد كان يستعمل هذا النوع من الحجارة المشيدة خاصة في بناء المعابد الضخمة ، إذ يبدوا أن القرطاجيين قد حرصوا في بناء معابدهم على اختيار الأمكنة

المشرفة وهم يقلدون بذلك الصوريين الذين بنو معابدهم في المواقع العالية وتشمل أمكنة العبادة هذه الساحة رحبة مربعة الزوايا ومسطحة يحيط بها جدار يقوم في داخله مصلى الذي يحتوي على صورة الإله [1]، فقد عهد الملك سليمان إلى أحيرام أحد ملوك صور بتشييد هيكل أورشليم [2] ، فلا شك في أن المعابد كانت من أهم المباني التي وجدت في كل مدينة فينيقية ، فلندرة البقايا الأثرية والتي لا تفيد كثيرا في تكوين فكرة عامة عن أنماط الهندسة الفينيقية لبناء المعبد ، ولكن في إستطاعتنا أن نتصور ما كانت عليه بصفة عامة من نقوش على بعض العملات التي ترجع في تاريخها إلى زمن متأخر (من العصر الروماني) وهي تمثل نماذج لمعابد وهياكل فينيقية ،و إن كانت هذه النقوش عادة لا تمدنا بالتفاصيل ولا تفيدنا في فهم التكوين الداخلي لأنها تصور عادة الواجهة أو المظهر الخارجي (أنظر الملحق رقم **14 ص 118**) وربما كان خير وصف لنا عن طريقة بناء المعابد الفينيقية هو الوصف التفصيلي الذي تورده التوراة لمعبد سيدنا سليمان في بيت المقدس ، فمن المعروف أن الذين قاموا ببناء هذا المعبد عمال ومهندسون فينيقيون ولابد أنهم أقاموه على نحو ما ألفوه في بناء المعابد الكبرى في المدن الفينيقية ويتضح من الوصف أن معبد سليمان كان يتكون من ثلاثة أجزاء أو أقسام رئيسية وهي قدس الأقداس وبهو ثم ردهة للمدخل الأمامي ومحراب الكهنة ، وله أيضا غرف جانبية ترتفع إلى ثلاثة طوابق ، وأمام المعبد يقف عمودان مغطيان بطبقة من البرونز ، ويختلف الدارسون فيما إذا كان هاذان العمودان قائمين أو أنهما يكونان جزءا من بناء الواجهة [3].

---

[1] – مادلين هورس ميادين ، المرجع السابق ، ص 67 .

[2] – نفسه ، ص 94 .

[3] – محمد أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص104 .

ومن جهة أخرى يذكر **"ابيانوس"** وهو من مؤرخي القرن الثاني الميلادي ، بأن المنازل في بعض أحياء مدينة قرطاجة كانت تتكون مما لا يقل عن ستة طوابق ، ولكن هذه المنازل العالية وجدت فقط في الأحياء التجارية وقرب الميناء ، أما في أماكن أخرى وفي المدن الفينيقية الأخرى الصغيرة فإن الطابع الغالب على المنازل هو المنازل ذات الطابقين فقط كما يتضح ذلك على رسم في مقبرة شمال إفريقيا ، يمثل بلدة منازلها جميعا من طابقين وكذلك من نقش سنحريب (بمدينة نينوى) عن مدينة صور الذي سبقت الإشارة إليه [1].

ولقد عثر حديثا في منطقة قرطاجة ذاتها على منازل ترجع إلى العصر الفينيقي المتأخر ويتضح من بعضها أنها بنيت على قطع مربعة من الأرض تحيط بها شوارع مستقيمة جيدة الرصف ، وكان تصميم المنازل عبارة من مجموعة من الحجرات المستطيلة الخالية من المبالغات الهندسية بغرض الزخرفة والجدران و في بعض المناطق بقرطاج فقد شيدت مساكن رحبة تملكها الأسر الغنية وتحيط بها بساتين كبيرة [2]،والتي مازال بعضها قائما إلى إرتفاع متر أو أكثر ، مبنية من الطوب أو الطمي فوق أساس من الحجر وتغطيها طبقة من القار لتمنع تسرب الماء ، وقد استخدمت قوالب من الحجر أحيانا بين الطوب والطمي لتقوية الجدران التي كثيرا ما كانت تغطي بطبقة من الجص كما هو واضح من آثار كثير من المباني القرطاجية، ومن جهة نظر تاريخية تصنيفية ، حيث يمكن إعطاء و تقديم دراسة إجمالية عن الهندسة المعمارية السائدة عصرئذ من خلال ما تحيط و تتميز به هندسة البناء الدينية [3] ، (أنظر الملحق رقم 15 ص 119) .

---

[1] - نفسه ، ص 101 .

[2] - مادلين هورس ميادين ، المرجع السابق ، ص 93 .

[3] - فرانسوا ديكريه ، قرطاجة أو امبراطورية البحر ، تر ، عز الدين أحمد عزو ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط $_1$ ، 1996م، ص 135 .

د -1) شبكة الماء:

أما عن طريقة إمداد المدينة بالماء فتقوم على خزانات إذ أن الكنعانيين منذ بداية عصر الحديد تمكنوا من تغطية خزانات الماء بطبقة من الجص تمزج على نحو تجعلها عازلة للماء فلا يتسرب منها بتقوية وإتقان البناء والمادة العازلة تمكنوا من جمع مياه الأمطار وحفظها في خزانات لفترات طويلة ، وبفضل الطريقة لم يحرص المهاجرون الفينيقيون دائما على اتخاذ مواقعهم بالقرب من عيون الماء أو مجاري الأنهار ، وكانت قرطاجة تعتمد على نبع رئيسي عرف باسم "الألف وعاء" ، وأقامت حوله خزانات هائلة لحفظ مياهه وتنظيم إمداد المدينة بها **(أنظر الملحق رقم 16ص 120)**، واستخدم الفينيقيون فيما بعد مادة أفضل من الجص وهي الإسمنت الحقيقي الذي يحتمل أنهم أخذوه عن الإغريق واستخدموه بكفاءة عالية تدل على الخزانات الكثيرة التي عثر عليها في قرطاجة وترجع إلى السنوات الأخيرة قبل القضاء على المدينة [1] .

هـ) الديانة : يبدوا أن دين القرطاجيين قريبا من دين فينيقيي الشرق ، فالآلهة الكبيرة في قرطاج تتستر وراء الألفاظ المختلفة وتحتفظ بطابعها الشرقي ، ويدل على ذلك طقوس العبادة الموحية إلى الإيمان العميق الذي ساد المجتمعات عصرئذ .

هـ -1) **الآلهة** : بعل : يعني هذا الاسم السيد ، المالك وهو إله عظيم عند الساميين ، كان يعبده سكان الساحل السوري الفينيقي في الألفيتين الثانية والأولى ق.م ، على الأقل كما يتصدر المكانة الأولى في القصائد الأوجاريتية ، فقد اعتبروه اله الصاعقة والمطر ، ويرمز إلى القوة والخصوبة والعناية الإلهية ، كما سمي هدد في مدينة ماري التاريخي ،واحتفظ الآراميون بنفس الاسم في الألفية الأولى ، ففي الشرق الفينيقي ،

[1] – محمد أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص 102 .

ذكر أن بعل في نقيشة كرتيبي قد جعل من ملك هذه الدويلة ملكا كبيرا ، ومن في عهده على سكان هذا البلد بالخيرات (سعادة وعدالة وثراء وأمنا) ولقد شيد **أشمون عزر** ملك صيدا معبدا لكل من بعل هذه المدينة و أشمون كان يعبده فينيقيو جزيرة قبرص ، ففي نقيشة جنائزية تراهم يستغيثون به ضد كل من ينجس القبر ، وتبين وثيقة أخرى أهداها حاكم يمثل ملك صور لهذا الإله ناعتا إياه أنه كان يعبد أيضا في صور .

أما في **قرطاج** : فقد وجد العديد من النقائش الذاكرة لهذا الإله (بعل حمون) إذ كان القرطاجيون يكنون له الاحترام والشعور بالعظمة والامتنان من خاصة الخلاص والأمان والحماية [1] ، وتؤيد الاكتشافات التي تمت في قرطاج هذه الحقائق ، فالمذبح الذي كشف عنه في سلمبو في الشمال الغربي من المرفأ المستطيل هو شبيه بمذبح "بيت حنون" الذي عثر عليه في أورشليم وليس هذا المذبح الأخير سوى قطعة من الأرض محدودة ومكرسة ومخصصة لدفن الضحايا المقدمة كذبائح لبعل ، فالآجر التي تحوي على العظام المحروقة ، تطمر في هذا المذبح ويعلوها لوح نقوشي ، وكانت هذه المساحة المكرسة في أقدم عهدها ذات أبعاد ضيقة ، توضع الآجر في الداخل فيها داخل تجاويف الصخر وتغطي بطبقة من الحصى الدقيقة ، وعندما تصبح هذه القطعة المسورة ممتلئة ، تطمر بطبقة من الرمل الأصفر ، ثم تدفن فيها من جديد مجموعة من الآنية التي تحتوي على رفات المولودين الجدد ، وكانت هذه الآنية تجمع كل ثلاثة أو أربعة منها ليعلوها لوح نقوشي أو حجر كبير مقصب ، وفي الطبقات العليا تحل الأنصاب محل الألواح النقوشية المزخرفة [2] .

[1] – أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 164 .

[2] – مادلين هورس ميادين ، المرجع السابق ، ص 71 .

هـ -2) **العبادة :**

أكدت المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية على الروابط الدينية والسياسية بين صور وقرطاجة ، فمعرفتنا لطقوس العبادة القرطاجية ما زالت غير كافية ، فالأعياد الكبيرة التي احتفل بها الفينيقيون في الشرق بمناسبة الأحداث المهمة في الشرق ربما عرف أيضا في قرطاج ، ولكن تعوزنا البراهين لإثبات ذلك ، وتشير قطعة من النقوش إلى عيد كان يستمر خمسة أيام تقريبا من كل سنة ، ويقع في الربيع دون شك لأنه تقدم في للآلهة بواكير الزرع ، والأغصان المزهرة وغيرها ، ويطل في الوقت نفسه في فينيقيا عيد كبير هو عيد قيام الإله ملقارت ، كما تشير بعض الشهادات الأدبية أن قرطاجة كانت ترسل بعثة لتحتفل بإقامة الذبيحة السنوية ، يقول أكونتوس فورسيوس : " ... كان آنذاك أي أثناء محاصرة الاسكندر لصور مبعوثون من قرطاجة يقيمون في صور للإحتفال بالذبيحة السنوية ، وقد كانت قرطاجة تحترم صور بصفتها المدينة الام " نستخلص من هذه الشهادة أن البعثة القرطاجية كانت تقدم سنويا قربانا إلى الإله ملقرت ، عملا بالعادة القومية ، وقد كان الاحتفال بهذا القربان يقام في نفس الفترة في صور وفي عديد من مستوطناتها إذ يحتفى به في هذه المدينة في شهر بيتروس الذي يوافق شهر فيفري ، ويحتفل به التجار الفنيقيون ،فهذا الإحتفال و تقديم الذبيحة إلى الإله ملقرت سنويا ، على مر القرون ، يبين الوحدة الدينية بين صور وقرطاجة وغيرها من المستوطنات ، ويشهد على تواصل العلاقات بين الشرق الفينيقي وغربه وعلى حرصهما على الحفاظ على معتقد الأسلاف [1] .

[1] – أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 50 .

3) التأثير الفينيقي في شبه الجزيرة الايبيرية :

يبرز جليا في ثقافة الفينيقيين الذين استقروا في اسبانيا ، تيار فينيقي اسباني ازدهر في المستعمرات الصورية ، وتيار بوني قام في المستعمرات القرطاجية ، وتلاحظ الاختلافات بين هاذين التيارين في الدين والفن وحتى في الكتابة ، فنلاحظ أن ثقافة قادس وملقا والمستوطنات الأخرى ، التي أسسها الصوريون ، كانت مرتبطة كل الوقت بصور في حين اتجهت قادس وباريا وجهة قرطاجة ، وقد برز هذا الارتباط على نحو خاص في التأثيرات الخارجية والظروف الدولية حيث يعتبر التوسع القرطاجي تكملة للتوسع الصوري لأن قرطاجة دعمته ووسعته ودافعت عنه ، متماشية بذلك مع ظروف عهدها التي تميزت بحضور الإغريق والرومان في غرب المتوسط ، وبضعف الحكم المركزي في صور من جراء الحملات العسكرية الأجنبية عليها ، لذا فقد ساد المظهر الهليني للقى القادسية العائدة إلى القرن الرابع أو القرن الثالث ق.م ، مما يفسر بقاء العلاقات مع الأصل الشرقي ، و نرى أن الفن في كل مجالات الثقافة الفينيقية الاسبانية كان أكثر زخرفة وبهاءا ، وفي مجالات أخرى ، كانت أكثر صرامة وجفافا ، وقد حافظت ديانة البعض على العبادات القديمة التي جيء بها من بلد الآباء البعيد لاسيما عبادة ملقرت أما عند الآخرين فقد احتلت عبادة تينيت وقد عثر في قبرص على تمثال فينيقي لإله ينقض على أسد يعود تاريخه إلى الألف الأول ق.م ، و الحال ذاته في قرطاجة ، المركز الأساسي الحضاري لغرب المتوسط ، فقد ارتاب بعض المؤرخين المعاصرين في مدى التأثير البوني على التأثير الصوري الحضاري في اسبانيا ، وفسروا عبارة "سكان صور" في إحدى المعاهدات الدولية المبرمة، بفينيقيي إسبانيا الذين بقوا تحت سيطرة صور أو بصوريي قرطاجة أو بالمستوطنات الفينيقية

في غرب البحر الأبيض المتوسط ، بينما أكد قسم أخر صحة النص لغياب الدواعي لتأويل عبارة سكان صور [1] .

فقد عثر على مداخل مدينة قادس تماثيل للإله ملقرت وعشتروت كانت منقوشة على أسطوانة عاجية من كرمونا ، كما يبدوا أن النحت الدائري في عبادة عشتروت كان يحتل مركزا واضحا ، وهكذا يبدوا من الناحية المبدئية أن العثور على تماثيل ضخمة في اسبانيا أمر محتمل ويعتبر هذا النوع من تمثال عشتروت العاجي شاهد على العلاقات الفينيقية – الاسبانية ، فقد نشأت صناعتها في زمن أحدث من الفن السوري ونضجت في القرن الثامن قبل الميلاد واستمرت حتى القرنين السابع والسادس ولعل السبب في عدم إختفاء هذا الفن في الزمن الذي اختفى فيه فن الساحل الفينيقي ، هو أن المدن لم يصبها التجهير الذي أصاب فينيقيا ، ثم أن لصناعها أسواقا واسعة بفعل التجارة التي يمارسها الفينيقيون مع الغرب ، وتمتاز العاجيات المصنوعة من قبل الصناع الفينيقيين والبونيين بأن تأثيرا مصريا واضحا من حيث صور الأشخاص والألبسة وتيجان الرؤوس وصور نباتات اللوتس والبردي وشجرة الحياة والأفعى ، كما تمتاز الصور المرسومة على القطع بأن فيها رشاقة فقد صور الوجه بمهارة والوجنتين عريضتين ومدورتين والفم بحس كامل ، ثم أنها تركت حرة بتوزيع فراغات كبيرة نسبيا ، كما يلاحظ التناظر سائدا عامة ، وربما جاء التأثير بسب قرب الساحل الفينيقي من مصر ،وأيضا نتيجة العلاقات التجارية الطويلة القائمة بين البلدين [2]. فاقدم منحوتة فينيقية تم

[1] - أحمد فرجاوي ، المرجع السابق ، ص 55 .

[2] – فؤاد سفر و ميسر سعيد العراقي ، عاجيات نمرود ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ، 1989 ، ص 13 .

العثور عليها في شبه الجزيرة الإيبيرية تؤكد الكتابة المنقوشة على قاعدتها مصدرها فينيقي[1] ،يشوبها تأثير مصري.

ضف إلى ذلك تمثال برونزي عثر عليه في قادس ، يمثل رجلا أمرد يقف وقفة رصينة على رجليه المتوازيتين ، يبدوا واضحا أن هذه الوقفة من الطراز المصري ، غير أن القدممين العاريتين وملامح الوجه التي يكشف عنها الجلباب الطويل الواصل الى منتصف الساقين ، تبرز المصدر الفينقي للتمثال ،وثمة نوع آخر من المصنوعات العاجية هو الأمشاط التي خلافا للألواح ، لم يعثر فقط في كارمونا ، فالمشاط التي تحمل نقشا ، عثر عليها خاصة تحت أسوار مدينة أوسونا ، وقد حفر على هذه الأمشاط التي تحمل نقشا عثر عليها تحت أسوار مدينة أوسونا ، وقد عثر على هذه الأمشاط كقاعدة عامة ، مشهدان متشابهان تنوعا ما على كلا الجهتين و ، وتأخذ الرسمة شكل مستطيل أو شبه منحرف ، ممطوط للغاية حينا ، ومحاط بإطار فارغ أحيانا ، لكنه مليء في الغالب بزخرفة متعرجة متموجة أو مجدولة ، وتحتل صور الأشخاص مساحة كبيرة ن أما المنطقة الخالية المتبقية فقد يحاول الفنان ملأها برسم طائر ،ونفس الشيء لصناعة الأقراط ، إذ تعتبر الأقراط أكثر المصنوعات إتقانا ، وقد حاول الحرفي من خلال إظهار فنه وحبه للحلى الباهرة على نحو فيه شئ من المغالاة وقد عثر على زوجين من الحلق ، يبلغ قطر كل قرط 8 سم ، وفي وسطه حلقة غير مغلقة مصنوعة من اسطوانة منحنية رقيقة جدا ، تزينها من الداخل حبة ذهبية صغيرة ، وتنتهي الحلقة بقرصين مسطحين تزينهما كذلك ، حبوب ذهبية صغيرة ، وقد ثبت إلى أحد القرصين مفصلة المشبك التي

1 – يولي بركوفيتش تسيركين ، المرجع السابق ، ص 146 .

بواسطتها كان القرط يعلق بالأذن ، ولهذه الأقراط سلاسل ذهبية ترسل وراء صدفة الأذن وفد عثر على مقربة من سينيس في البرتغال رسم تخطيطي مماثل ،قطره 8سم وقد تميزت برونقها الأكثر تواضعا .

أما عن تخطيط البيوت نفسها في المدينة الفينيقية ، فإن الأثار لم تمد الباحثين بعد بمادة كافية لإصدار آراء أو أحكام عامة ومع ذلك فهناك بعض النماذج القليلة مثل منزل كشف عنه في "موتيا" في الجزر القريبة من جزيرة صقيلية ، فهو بيت حسن البناء والنظام يشتمل على عدد من الحوانيت والمخازن ملحقة به ، وإن كانت به مناظر مصنوعة من فسيفساء في طراز وأسلوب يوناني مما يرجح أن البناء يوناني الطابع وليس فينيقيا ومع ذلك فالصور الممثلة في الفسيفساء لحيوانات تتصارع يظهر فيها التأثير الشرقي ولعل المنزل كان لرجل فينيقي أدخل في بنائه بعض العناصر اليونانية [1].

1 – محمد أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص 101 .

الخـــاتمة

الخاتمة

بعد معالجتنا الموجزة لموضوع هذا البحث يمكننا أن نعرض أهم النتائج التي يمكن استنباطها ، وهي تتمثل فيما يلي :

- أثبتت الدراسات التاريخية أن الفينيقيين من أصل سامي نزحوا من شبه الجزيرة العربية إذ يبدأ التاريخ الحقيقي للفينيقيين مع نهاية الألف الثاني ق.م .

- طبع الحياة العامة للساحل الفينيقي خلال الألف الثانية قبل الميلاد التقهقر والتراجع ، مما أدى إلى سيادة قوى الجوار فتنافست فيما بينها من أجل امتلاك أكبر مساحة ممكنة رغم محافظتهم وتمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم ، وكان باستطاعتهم أن يؤثروا أو يتأثروا ببعض، إلا أن بعد الشقة بين الطرفين وما انتصب بينهما من حواجز طبيعية ، جعل هذه المقترحات في حكم العدم ولكي يتأثر هؤلاء الأقوام أو يؤثروا بمدنية متطورة نامية كان لابد أن يتم ذلك عبر البحر ، وهذا ما تم بالفعل عن طريق البحارة الذين جاشت نفوسهم بروح المغامرة حاملين معهم إلى الغرب الفكر الشرقي الفينيقي وديانته بالإضافة إلى قوة اقتصادهم المتمثل في التجارة وذلك بفضل قوة الأسطول البحري ، فتطورت السفن وزاد عددها وذاع صيتها على الصعيد المحلي والدولي ، كما تطورت الملاحة وظهرت خطوط بحرية دولية في حين كانت الأمم لا تعرف في البحر سبيلا وهو ما أخلط أوراق الإمبراطوريات القوية المعاصرة لها ومراجعة حساباتها مع مدن الساحل الفينيقي ، فلا يخفى على متأمل أن تصارع قوى الجوار عليه ما كان لو أن حال الفينيقيين كحال سائر الشعوب وهي نتيجة حتمية ، للتاريخ من مثلها الكثير وبقدر ما يحمل التاريخ من تناقضات فقد برز هذا التطور في غرب البحر الأبيض المتوسط .

الخاتمة

وقد اقتضى البحث الإلمام بحيثيات التوسع الفينيقي في غرب المتوسط الذي يوفر المرجعية العامة لنشأة المستوطنات الغربية والمؤسسات التجارية الخارجية ، ومما يؤكد هذا توجه الفينيقيين نحو الارتباط الدائم بغرب المتوسط ، حيث تأصلت معالم حضارة ذات أصول شرقية وقد أكسب التفاعل مع محيطها الجديد هُوية متفردة السمات عبرت عنها مدينة قرطاج التي اختزلت إلى حد كبير التاريخ الفينيقي بحكم دورها الريادي الذي شمل شبه الجزيرة الأيبيرية وما جاورها .

وفي الأخير نخلص إلى القول أن المُطلع على الحضارة الفينيقية يدرك لا محالة أنها أرست نموذجا لعبقرية الإنسان غرب المتوسط القديم ألصقتنا بها همة ظلت نوابضها ترمي بنا إلى بعيد....

والحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات

المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

1. الكتاب المقدس : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، الإصدار الثالث ، ط 1 ، 2005 .
2. HERODOTE ,1ED PLEGRAND, C,U,F, 1949
3. STRABON , THE GEOGRAPHY DE STRABON ,TR ANSLATED BY HAMILTON LONDON 1912 .

قائمة المراجع :

1. أحمد حمادة ، مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق 1995.
2. أحمد فرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، 1993.
3. أحمد هبو ، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، 1984 .
4. أندريه إيمار وآخرون ،تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها) ، تر ،فريد م داغر وفؤاد ج . أبو ريحان ، المجلد الثاني ،منشورات عويدات ، بيروت باريس، ط 2 ، 1986 .
5. توينبي أرلوند ، تاريخ البشرية ، ترجمة نيقولا زيادة ، ج 1 ،مكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1958 .
6. حلمي محروس إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1997م .
7. جان مازيل ، تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)،ط1،ترجمة ربا الخش ، تقديم ومراجعة عبد الله الحلو ، دار الجوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، 1998 ، .

8. ف.دياكوف ،س.كوفاليق، الحضارات القديمة ، ترجمة نسيم واكيم اليازجي ،ط 1 ، الجزء الأول ، منشورات دار علاء الدين ، .

9. سباتينو موسكاتي ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة :نهاد خياطة ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق 1988.

10. ـــــــــــ ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 .

11. الشاذلي بورونية ، محمد طاهر ، قرطاج البونية تاريخ وحضارة ، مركز النشر الجامعي ، 1999 م .

12. شوقي خير الله ، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب ، مركز الدراسات العلمية ، ط 1 ، 1992 .

13. صفية سعادة ، أوجاريت ، بيروت ، 1982 .

14. عاطف عيد ، قصة وتاريخ الحضارات العربية (تونس والجزائر) ، منشورات كريبس الدولية ،بيروت –لبنان ، 1998-1999.

15. عبد المجيد عبد المالك ، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية ،ط2، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، لبنان 2002 .

16. فرانتس كارل موفرز ، الفينيقيون ، ترجمة عبد الله الحلو ، المجلد الثاني ، ج 3 ، برلين.

17. فليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج1، ترجمة جورج حداد ومراجعة جبرائيل ، دار الثقافة ، بيروت 1985.

18. فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، تر،عز الدين أحمد عزو ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،ط 1 1996م .

19. فؤاد سفر و ميسر سعيد العراقي ، عاجيات نمرود ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ، 1989 .

20. لطفي عبد الوهاب يحى ، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ،1991 م .

21. كارلهابتز برنهدت ، لبنان القديم ، ترجمة مشيل كيلو ، مراجعة زياد منى ، دار قدمس للنشر والتوزيع ، ط1 ، دمشق 1999.

22. كونتيتو " ج" الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد الهادي شعيرة ، مراجعة طه حسين الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997 .

23. مادلين هورس ميادان ، تاريخ قرطاج ،ترجمة إبراهيم بالش ،ط 1، منشورات عويدات، بيروت – باريس،1981 .

24. محمد أبوا محاسن عصفور ، تاريخ الشرق القديم ، ط 2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 .

25. ــــــــــــــــ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981م .

26. محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهيره الجغرافي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1969 .

27. محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1992.

28. محمد محمود الصياد ، جغرافية الوطن العربي ، ج2، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة 1968.

29. محمد مصطفى ، لغة النقوش الفينيقية ، حلب 1988 .

30. محمد الخطيب ، الحضارة الفينيقية ، دار علاء الدين للنشر ، ط 2 ، 2007 .

31. محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1990 .

32. ــــــــــــــ ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية 1410هـ - 1990م .

33. ــــــــــــــــ ، تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، ج 1، الإسكندرية ، 1994

34. هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، ترجمة ميخائيل خوري ، بيروت 1959 .

35. ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، ج 2 ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة 1961م .

36. يولي بركوفيتش تسيركين ، الحضارة الفينيقية في إسبانيا ، ترجمة يوسف أبي الفاضل ،ط1،المطبعة العربية للنشر والتوزيع ،1988 .

المجلات والدوريات :

1. العربي عقون، الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب في القديم وأهمية البحر الأحمر، مجلة الحوار ، العدد: 2648 - 16 / 5 / 2009م .

2. جريدة صيدا نت ، 2006/11/01، مركز الهلال للإنتاج والتوزيع .

3. غيد إلياس بيطار ، السفن الفينيقية باع طويل في فنون الإبحار والتجارة والحرب ، الوحدة يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والتوزيع – اللاذقية ، الخميس 2006/8/10 .

الموسوعات والأطالس :

1. سيف الدين الكاتب وآخرون ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، ط 5 ، 1429هـ ، 2008م.

2. شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر ،دمشق 2005 .

3. طارق السويدان ، فلسطين التاريخ المصور ، دار الإبداع الفكري ، ط 9 ،الكويت 2005 .

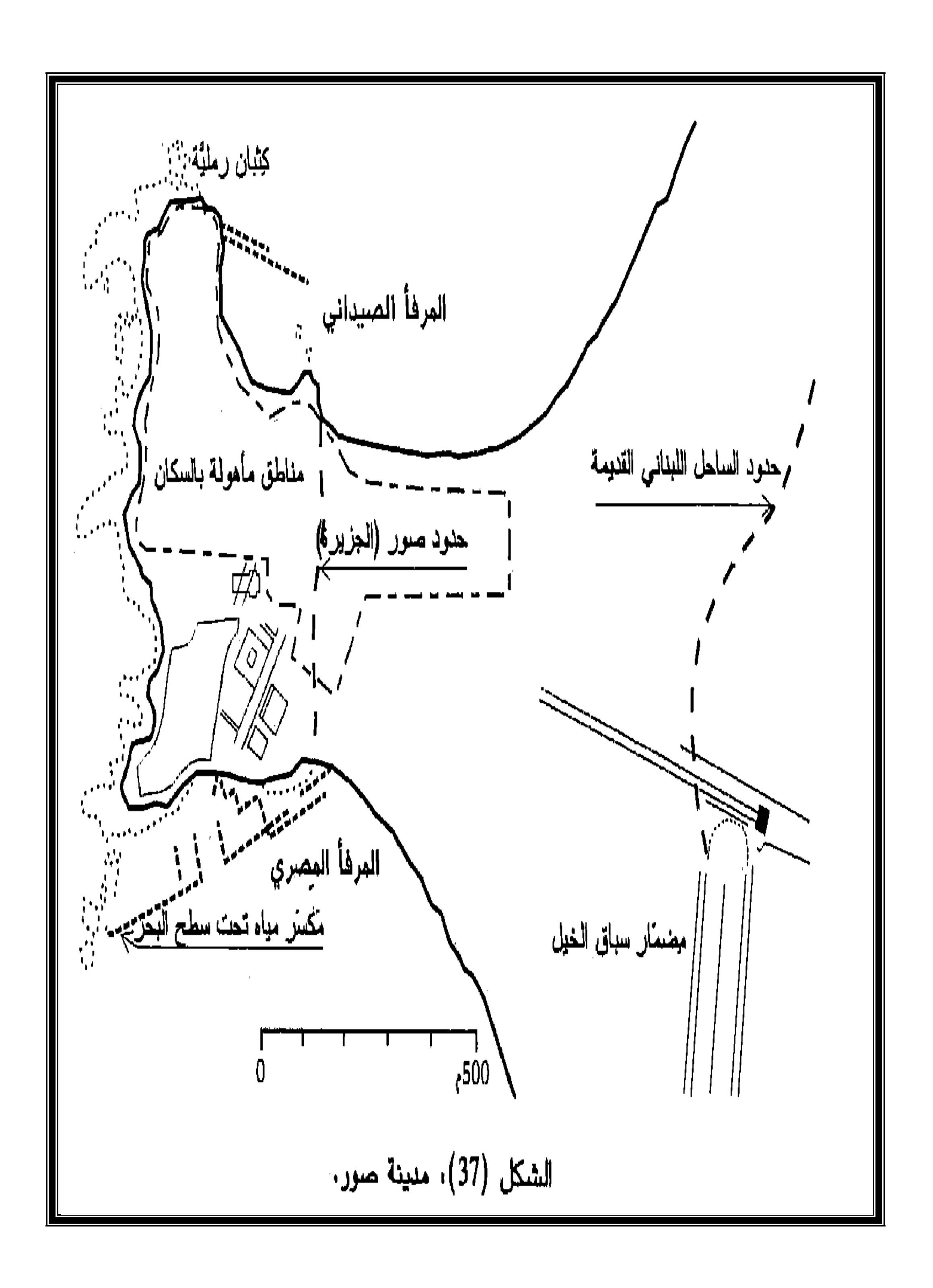
الملاحــق



أبجدية نقش أحيرام (ج. كونتو ،الحضارة الفينيقية ،ص 339)

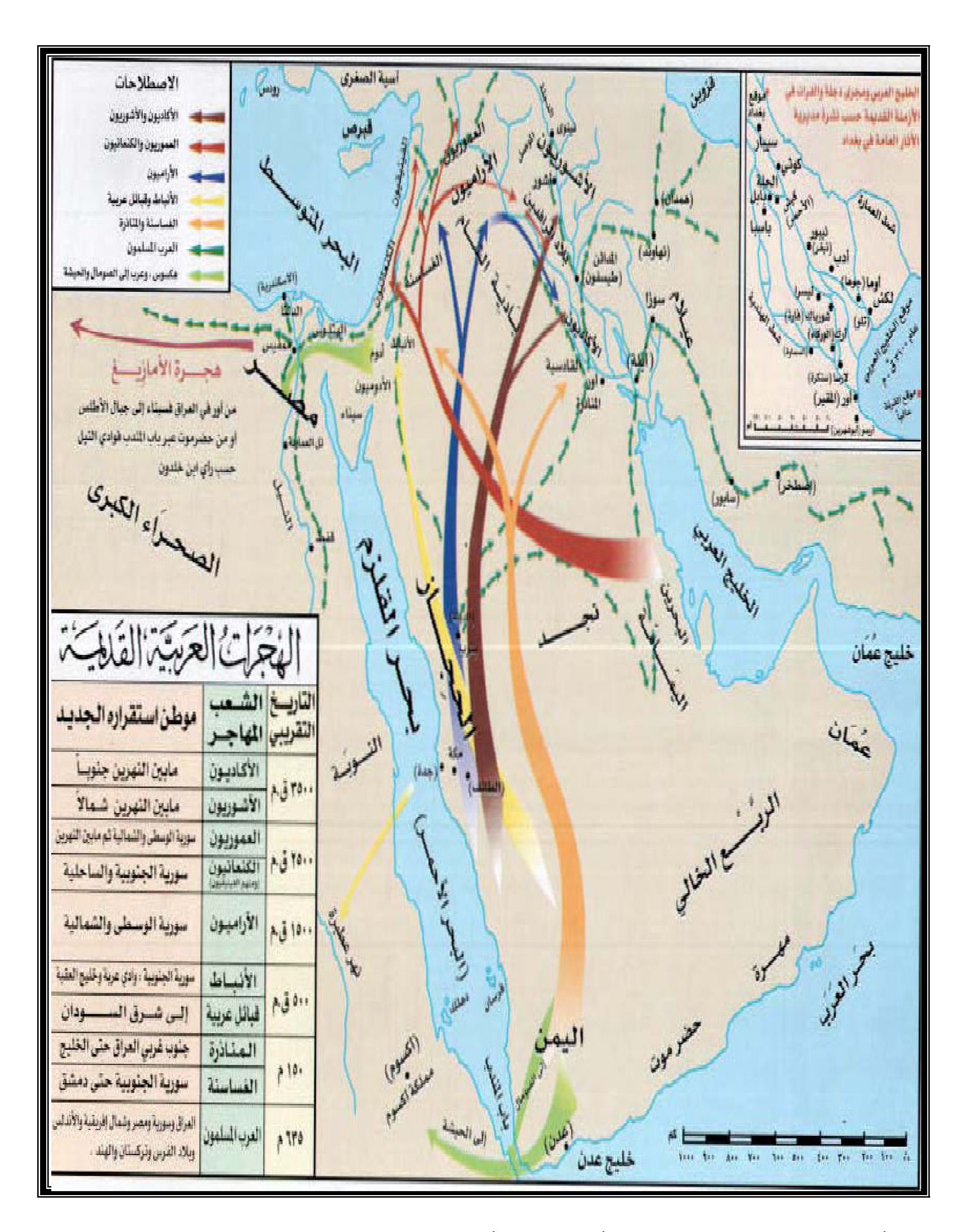
الأبجدية	الأبجدية العبرية	أبجدية شاهد ميزا	أبجدية صيدا	أبجدية قرطاجنة (الأبجدية اليونانية)	الأبجدية اليونانية الحديثة
ʾ	א				
b	ב				
g	ג				
d	ד				
h	ה				
v	ו				
z	ז				
ḥ	ח				
t	ט				
y	י				
k	כ				

أبجديات فينيقية (ج.كونتو ،الحضارة الفينيقية ،ص 334)



الشكل (37): مدينة صور.

منظر عام لمدينة صور (كارلهاينز برنهردت ، لبنان القديم ، ص 197)

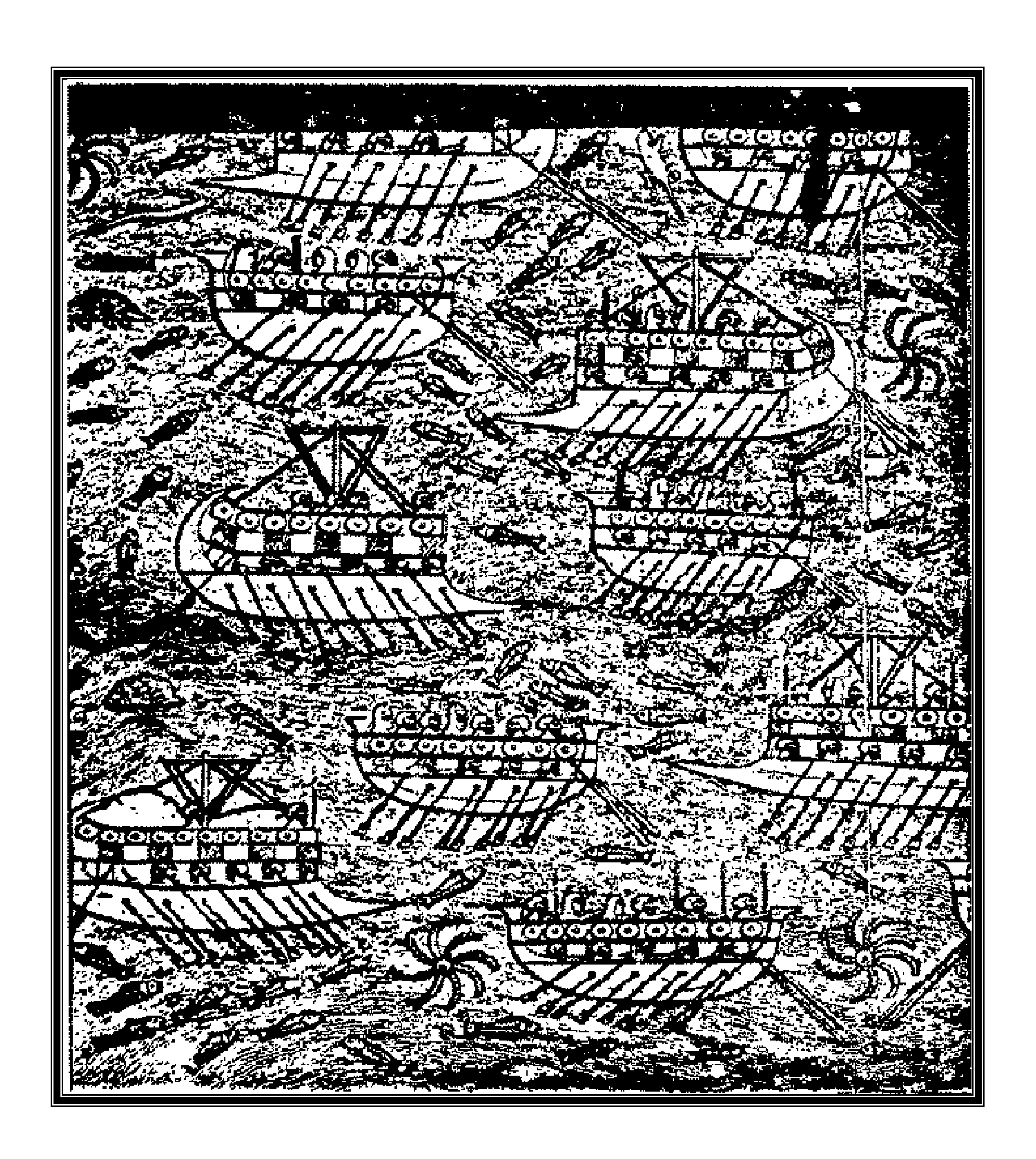


التاريخ التقريبي	الشعب المهاجر	موطن استقراره الجديد
٣٥٠٠ ق.م	الأكاديون	مابين النهرين جنوباً
	الأشوريون	مابين النهرين شمالاً
٢٥٠٠ ق.م	العموريون	سورية الوسطى والشمالية ثم مابين النهرين
	الكنعانيون (ومنهم الفينيقيون)	سورية الجنوبية والساحلية
١٥٠٠ ق.م	الآراميون	سورية الوسطى والشمالية
٥٠٠ ق.م	الأنباط	سورية الجنوبية: وادي عربة وخليج العقبة
	قبائل عربية	إلى شرق السودان
١٥٠ م	المناذرة	جنوب غربي العراق حتى الخليج
	الغساسنة	سورية الجنوبية حتى دمشق
٦٣٥ م	العرب المسلمون	العراق وسورية ومصر وشمال إفريقية والأندلس وبلاد الفرس وتركستان والهند.

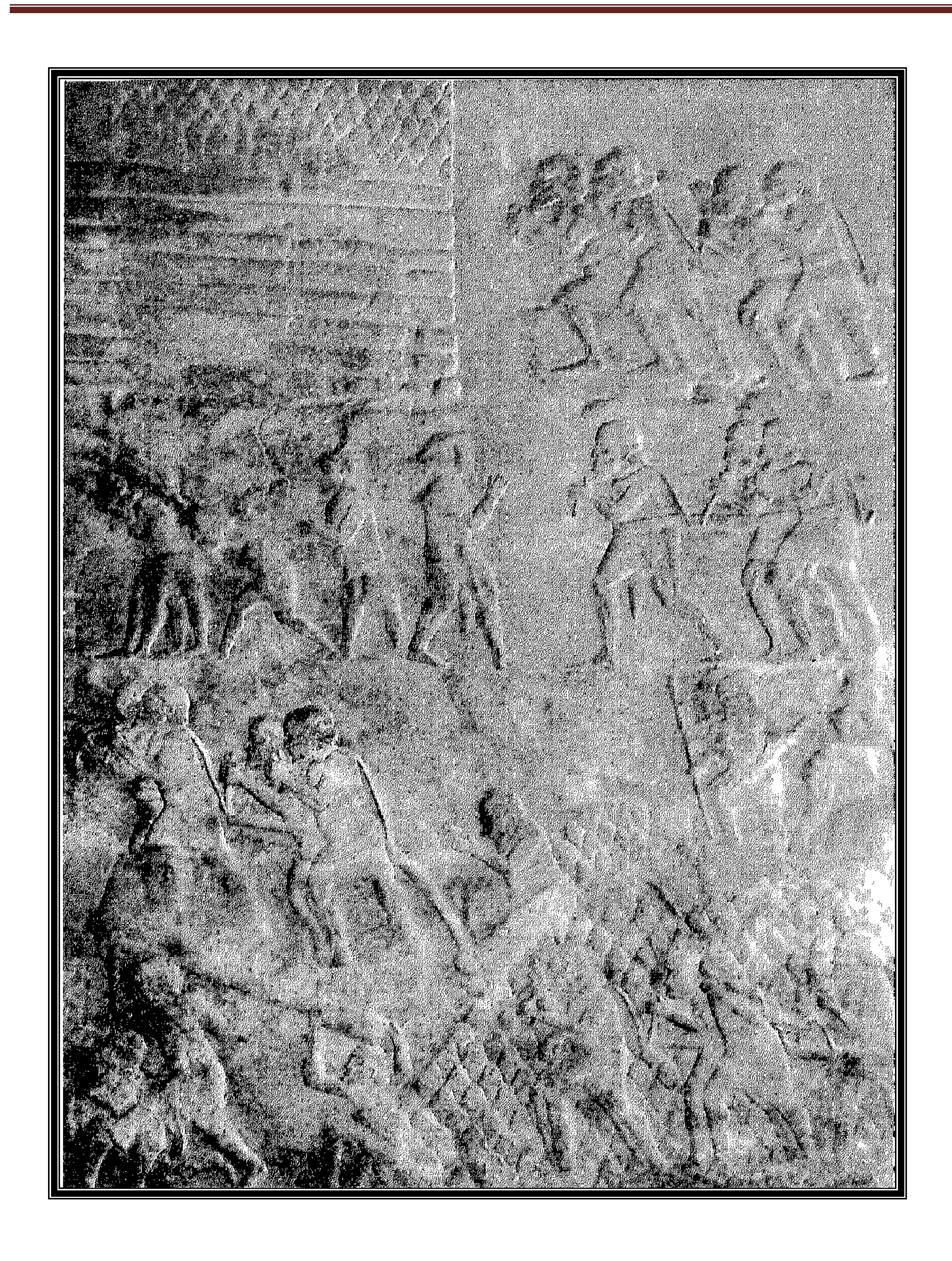
أهم الهجرات السامية (شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، ص 5)



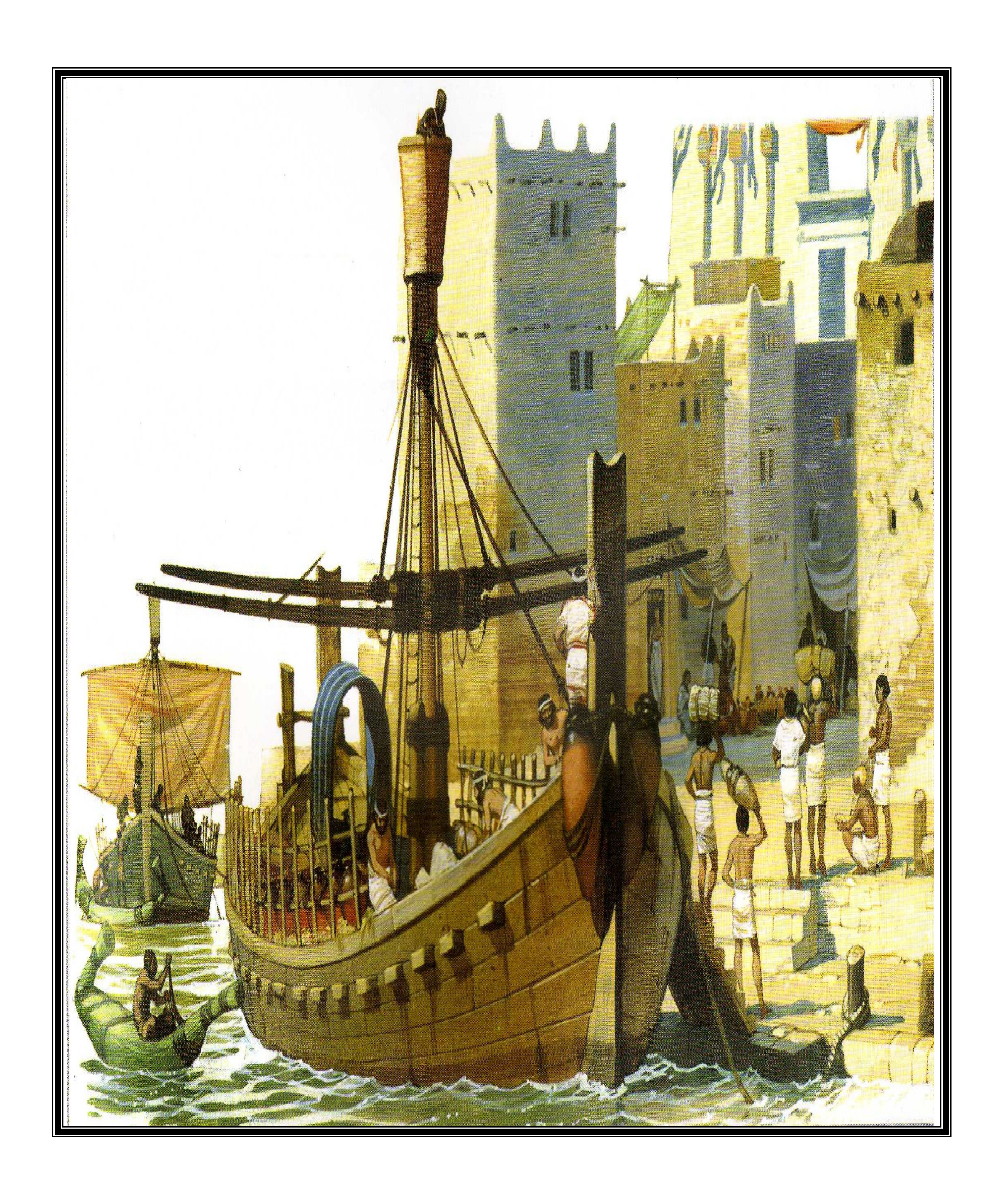
خريطة جيولوجية للساحل الفينيقي (ج. كونتو ،الحضارة الفينيقية ،ص 24)



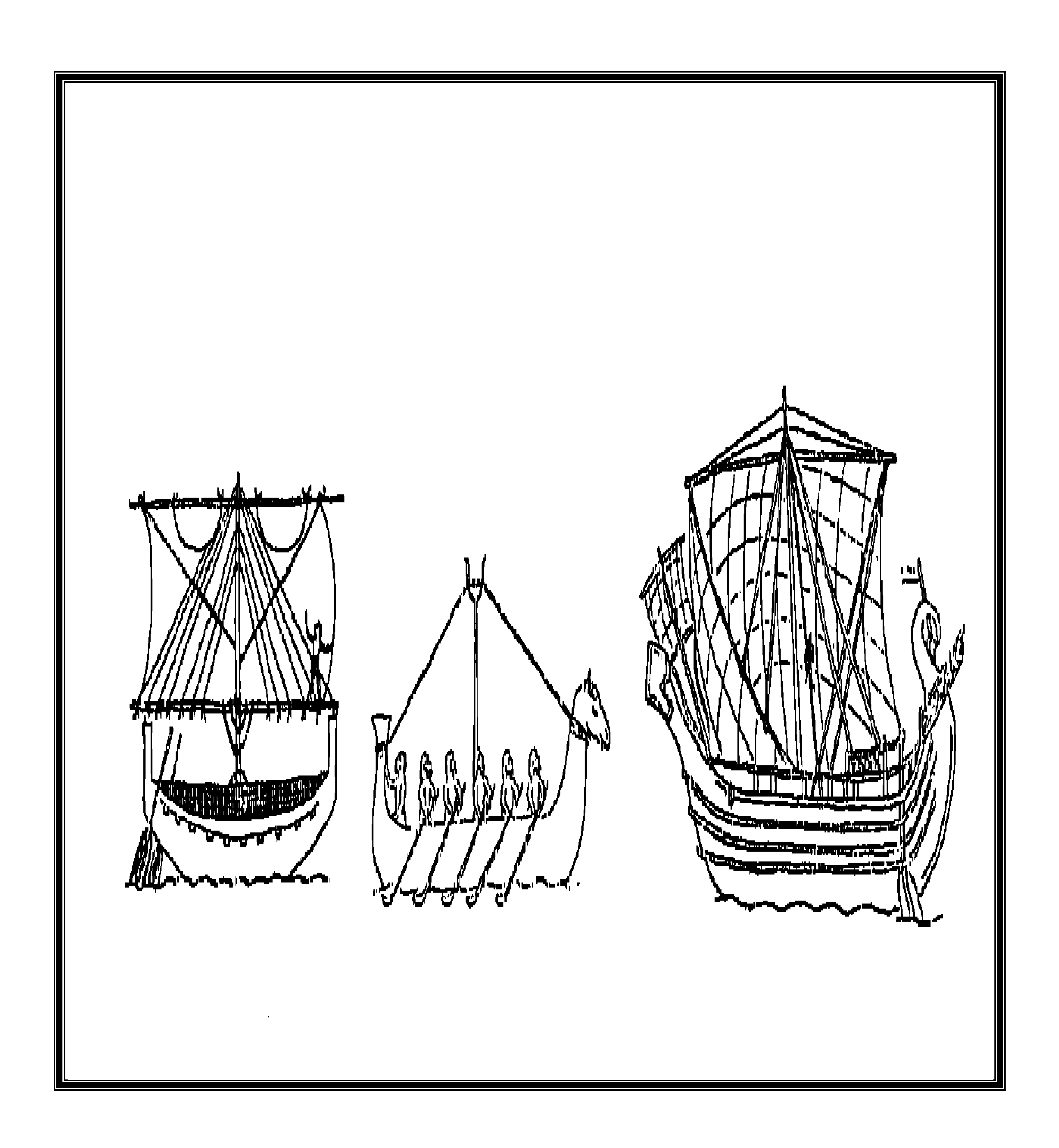
صور مراكب فينيقية (محمد صغير غانم ،التوسع الفينيقي ، ص 58)



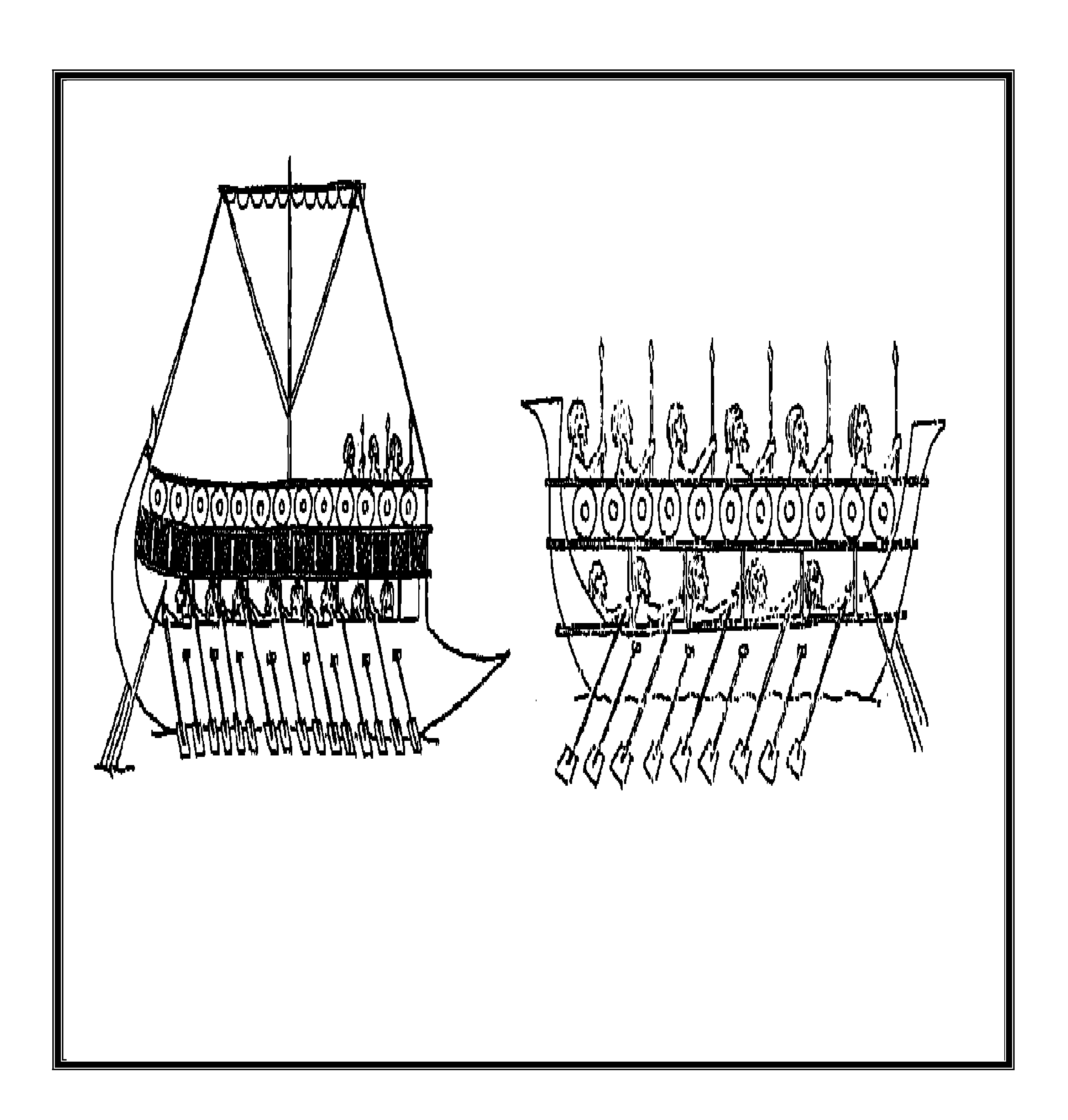
قطع أشجار الصنوبر في فينيقيا ونقلها إلى الشاطئ (كارلهاينز برنهردت ، لبنان القديم ، ص 48)



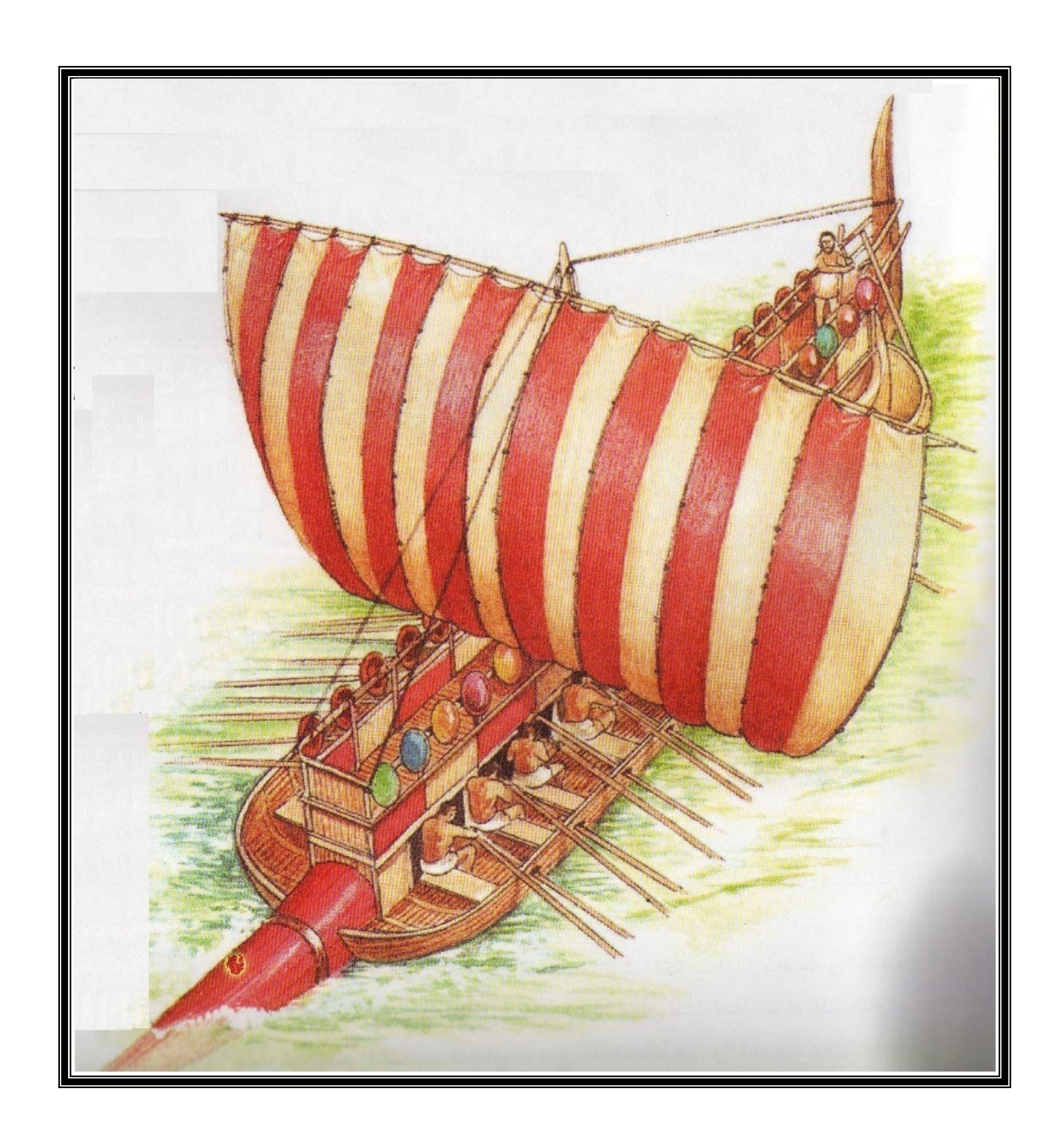
الصالب ، من أهم الاختراعات الفينيقية في مجال السفن (طارق السويدان ، فلسطين التاريخ المصور ، ص 24)



سفن تجارية فينيقية (كارلهاينز برنهردت ، لبنان القديم ، ص 125)

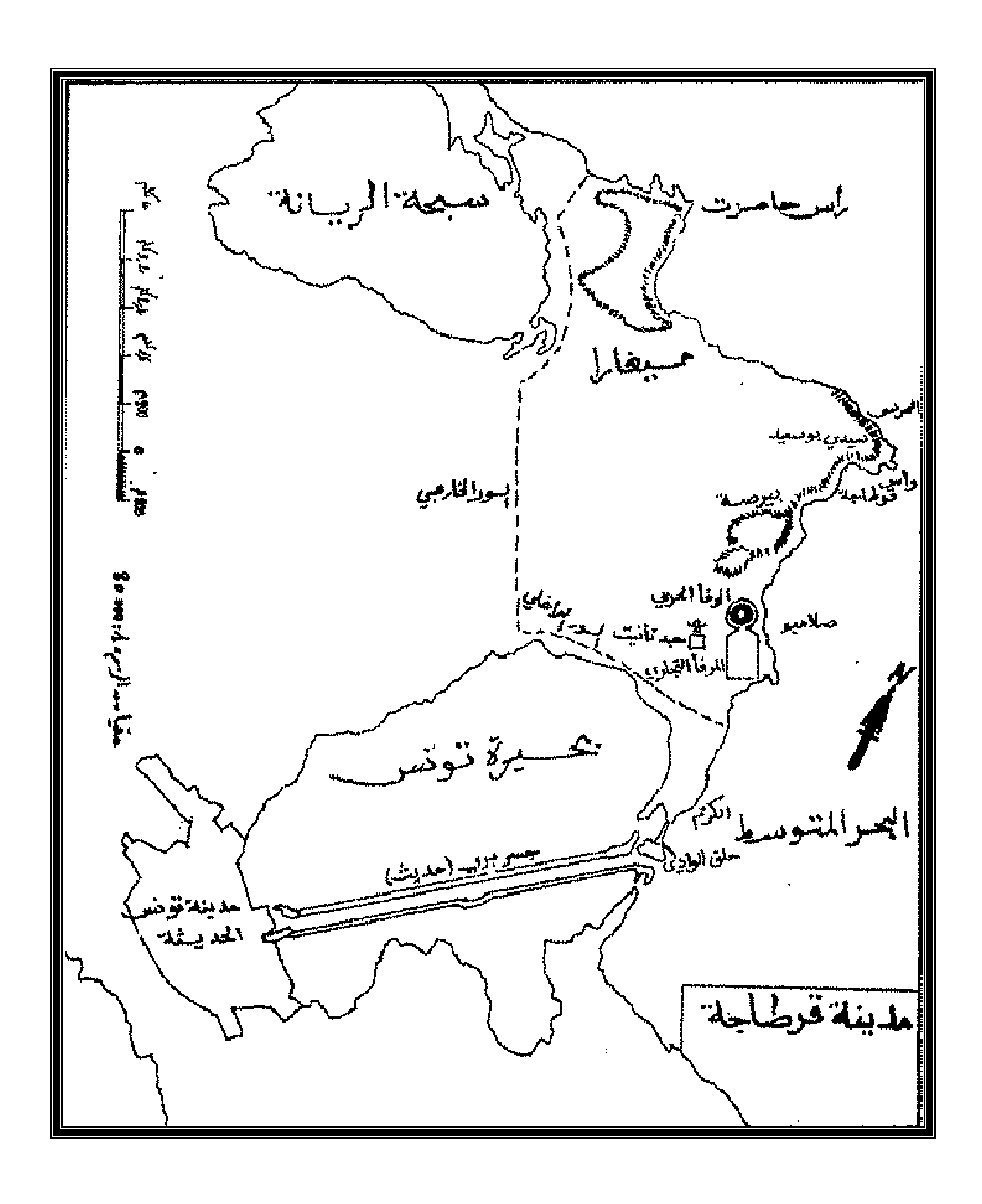


سفن حربية فينيقية (كارلهاينز برنهردت ، لبنان القديم ، ص 125)

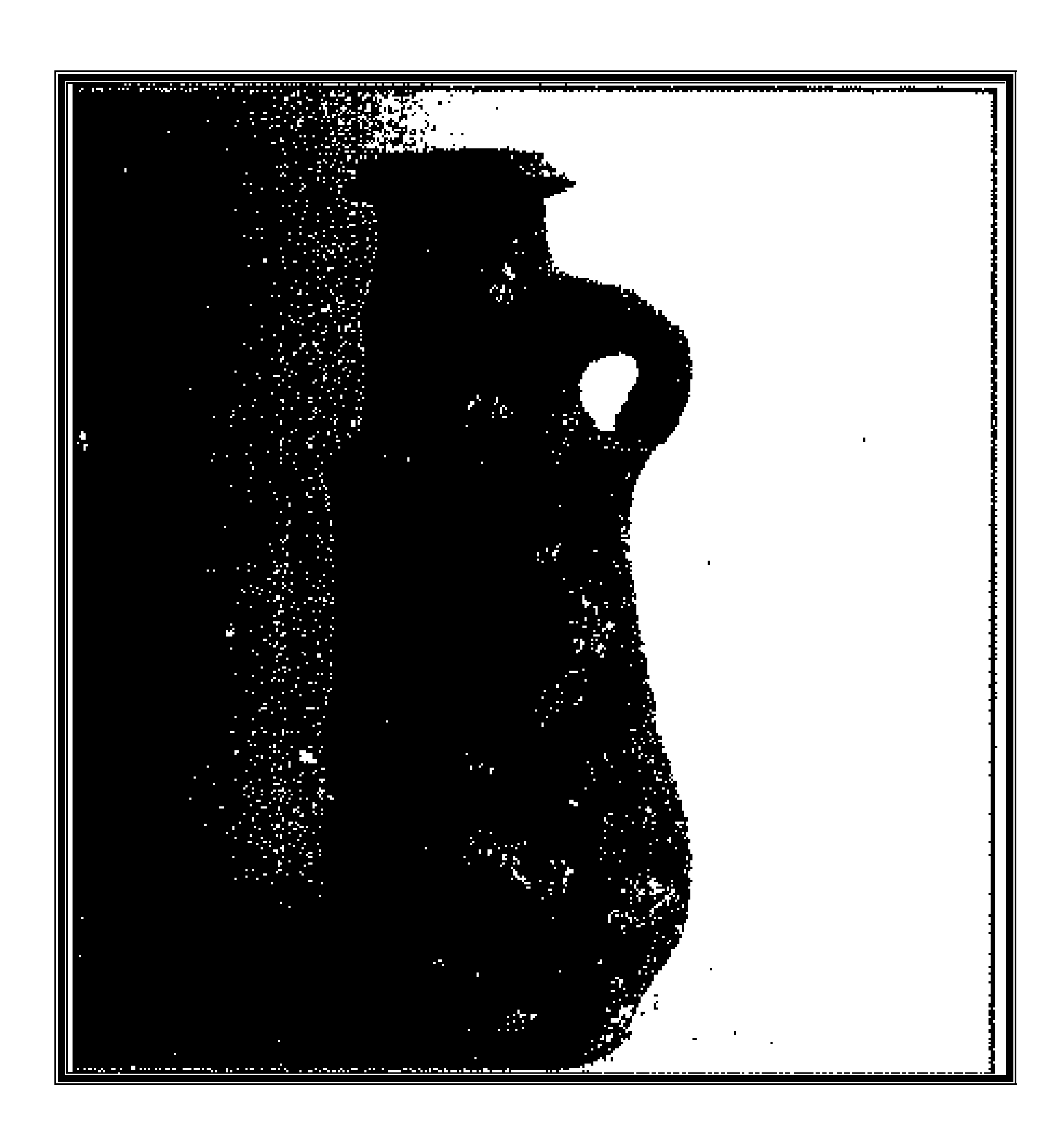


الرمح الحربي، من أهم الاختراعات الفينيقية في مجال السفن الحربية ويبرز اللون الأرجواني المميز للفينيقيين

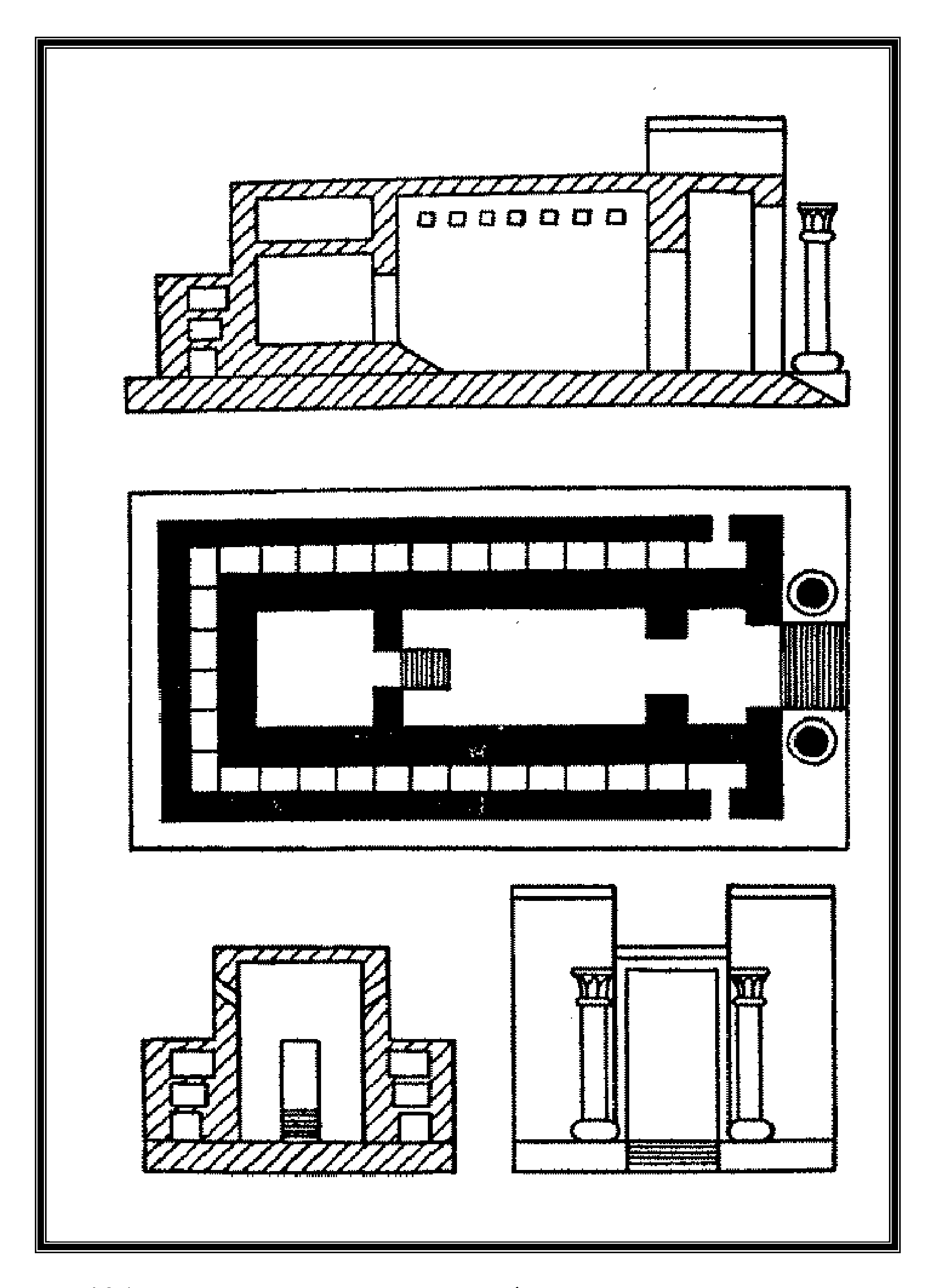
(طارق السويدان ، فلسطين التاريخ المصور ، ص 25)



مدينة قرطاجة (محمد صغير غانم ،التوسع الفينيقي ، ص 109)



قوارير قرطاجية ذات تأثير فينيقي (أحمد فرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، ص 111)



هندسة المعابد الفينيقية (محمد أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص **105**)



الهندسة الفينيقية القرطاجية(محمد أبو محاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص 103)



قنوات المياه في مدينة قرطاجة

الفهـــــارس

فهرس الأماكن ﴿أ﴾

فهرس الأعلام

محتويات البحث